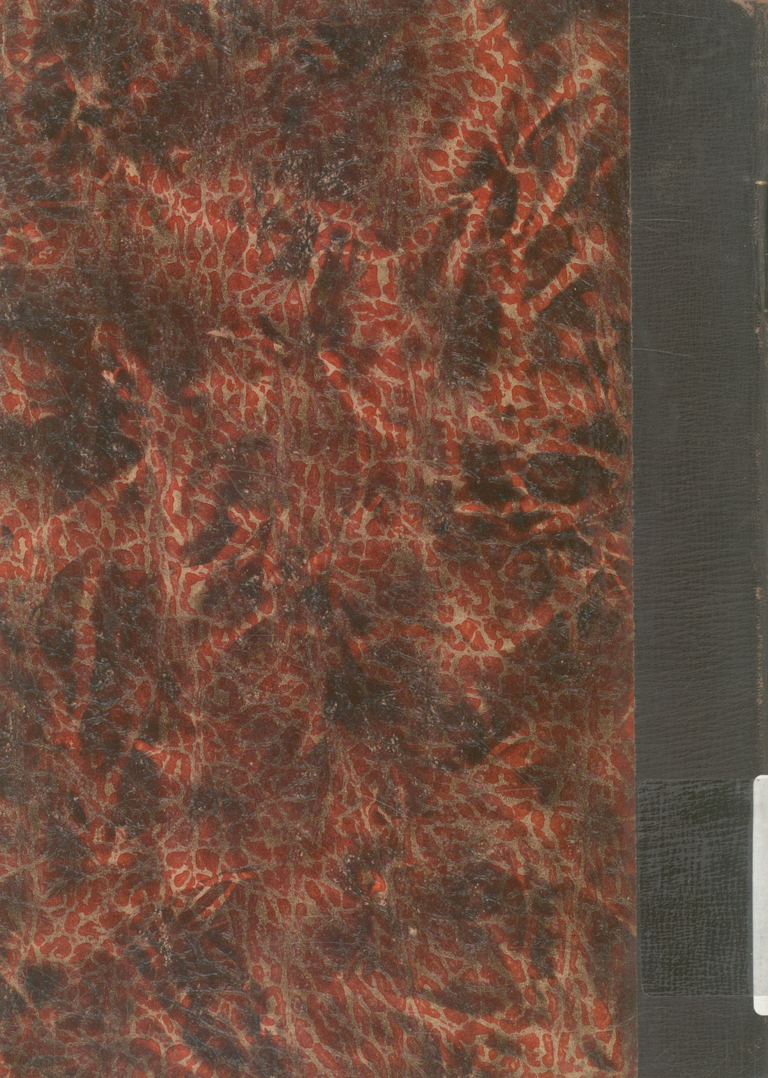


محاسن الاسلام

بقلم الكاتبة الايطالية

الدكتور لورا فيتشيا فاليرى

LAURA VECCIA VAGLIERI

نقله

من الايطالية الى العربية

طه فوزى

بمحكمة استئناف مصر الاهلية

مطبعة الجامعة الاسلامية

مقدمة الكتاب

من لباب اوروبا التي أحيتهـا المادة والتي ستميتها المادة ، في حيث تصطك المسامع بصلصلة السلاح فى المصانـع ، وقعقعة الاحقـاد بين الاضالع ، فى حيث تختال القوة وتتسلط ، وتتضاءل الروح وتنهزم ، وفى حيث القوة ملء المسامع والنواظر ، والفضيلة حظ الكتب والدفاتر .

من صميم اوروبا التي حجب دخان المادة آفاقها ، ورانت سحب الشكوك على قلوبها. من ذلك الوسط اللجب صر يراع له نغمات الاوتار ونسمات الاسحار ، وزمجرة الاعصار وصولة القدر الجبار ، ذلك يراع الكاتبة الفاضلة الدكتورة لورا فيتشا فاليرى المستشرقة الايطالية .

هذه الكاتبة الفاضلة شعرت ان للاسلام فى عنق المدنية ديوناً ، وللاسلام لدى الحضارة قروضاً ، وهي نبت المدنية وزهرة الحضارة ، فلماذا لا تفى تلك القروض ، ولا تقضي شطراً من تلك الديون ، لهذا أخرجت هذا الكتاب للناس فكان آية فضل ظاهرة ، ورمز مادة غزيرة ، وصدى ضمير حي ، وعبق نفس طيبة كريمة .

استعرضت الكاتبة الفاضلة نواحي من الاسلام ، سواء من اصوله أو من منابعه أو من اعراض تكونه وتطوره ، وجاءت من ذلك بما جمع لها بين سعة الاطلاع ، وطول الباع وجليل الانصاف ، وجميل الاعتراف ، فحق لها الشكر وحق لكتابها الاقتناء والدرس .

سليمان التاجي الفاروقي

منشيء الجامعة الاسلامية * يافا

كلمة عن هذا الكتاب

الكاتبة الايطالية الشهيرة لورا فيتشا فاليرى وضعت هذا السفر النفيس الذي دل على سعة علمها وسداد حكمها وحبها للحقيقة وذلك بانها انصفت الاسلام ووزنته بميزان النقد الصحيح لاتحامل فيه ولا بخس لاشيائه وتغطية لنوره وقد طالعت هذا الكتاب فى نسخته الافرنسية وقدرته قدره واجزلت شكر هذه السيدة الفاضلة المنصفة العادلة التي بلغني أن كثيرين من قومها حنقوا عليها من أجل هذا التأليف الذي لم تكتبه لاجل شيء سوى محبة الحق أكثر الله من أمثالها فى كتاب الاوروبيين وجزاها عن الاسلام خيراً

جنيف ١٧ جمادي الاخرة سنة ١٣٥٢

شكيب ارسلان

محاسن الاسلام

« مقدمة »

هدأت في ايامنا هذه نار الحقد والكراهية التي كانت تتأجج في صدور الباحثين من الاوربيين في الشؤون الاسلامية طوال سني القرون الوسطى ، وفي جانب كبير من سني العصر الحاضر ، ولم يعد نبي العرب في نظر احد ممن يتصدون لهذه الابحاث ، ذلك المستحق لاحط الشتائم ، واقذع عبارات السباب ، حيث ظهرت في العهد الاخير ابحاث ادعى اصحابها التزام جانب الحياد التام فيما كتبوه ، وزعموا انهم خالون من الغرض وسوء النية ، وقد القت مصنفاتهم هذه ضوءاً جديداً على اصول ديانة جديدة قلبت العالم باسره رأساً على عقب ، على ان المسلم القوي الايمان المخلص لربه ورسوله والذي يرى فى الاسلام ينبوع سعادة ابدية في الحياة الدنيا وفي الآخرة لم يصل صوته الينا الا ضعيفا جداً اللهم الا في بعض حالات شاذة نادره ، وبطريق غير مباشر ، اذ ان اراء مشاهير كتاب الاسلام ، التي كتبت بلغات لا يقرؤها الا نفر قليل من الغربيين ، ظلت مجهولة بوجه عام من العالم الاوربي . ولا نستطيع فهم الروح الصحيحة لدين من الاديان ، اذا لم نتبين جيداً اراء الذين يدينون به وندرك الشعور الذي يحملونه بين جوانحهم .

ولما كانت النتائج التي وصل اليها هؤلاء الباحثون الغربيون غير متوفرة فيها الغيرة الصادقه الواجبة ، كما انها قائمة غالبا على افكار لا يمكن بأية حال

من الاحوال ان يسلم بصحتها مسلم مخلص لعقيدته فهي لهذه الاسباب لاتصلح لان تكون اساساً لكتابة يقصد منها اطلاع الغربيين على كنه الديانة الاسلامية والشريعة السمحاء ، حتى يقدروا عظمتها ، ويعرفوا اصولها ، ويشعروا بقوة اقناعها ، ويلموا بما فيها من عوامل تقدم ونهوض .

اذ ان المستشرقين امثال موير Muir واسبرنجر Sprenger والذين تلوهم امثال : جولد زيهر Goldziher ونولديكه Noldeke و كاتياني Caitani وغيرهم الذين سلكوا في النقد طرقاً تختلف جد الاختلاف عن طرق البحث عند علماء المسلمين ، قد وصلوا الى التسليم بصدق محمد وخلوص نيته ، والى التأكيد في شيء كثير او قليل من الوضوح ، بصحة استعداده بصورة لا تقبل الجدل ، لوحي عمدوا الى تفسير خفاياه ، حين ارادوا ايضاحه بشكل مغاير مرفوض ، حتى لدي النقاد من غير المسلمين .

اما المتأخرون منهم ، فقد استخلصوا اصول كل عنصر من عناصر العقيدة الاسلامية ، وبحثوا ادوار نشوئها وارتقائها ، حتى وصلوا الى الاقتناع بان كثيراً مما يعتقد المسلمون انه منزل من عند الله على لسان محمد رسوله ، لم يكن غير نتيجة تطور بطيء ، او تفسير المسائل الغامضة ، التي لم تكن واضحة تمام الوضوح في بدء الاسلام ، او انها كانت في اغلب الاحيان ثمرة الازمان المتأخرة التي لم يشترك محمد في ايجادها باية حال .

وفصلوا الاسلام عن العناصر التي زعموا انها التحقت به في العصور التالية بفعل الميول والاذواق المختلفة واعتبارات الاجيال التي اعقبت محمداً لكي يجعلوا هذا الدين قائماً بذاته وبعبادته الاولى التي لا شك في انها جزء منه . ونزعوا عن صورة النبي جميع ما اضيف اليها من الاساطير والروايات التي غيرت

حقيقتها ، لكي يعيدوا بناء شخصيته الاولى كما كانت في اوائل ايام رسالته أو في ابان الرسالة نفسها ، ثم انهم بعد ان فعلوا ذلك كله تناولوا بالنقد الدقيق اقوال النبي كلمة كلمة وتتبعوا اعماله وحركاته واحدة بعد اخرى ، ووضعوا حداً فاصلا بين ما اوحي اليه ، (وهو ثمرة الالهام الخارق) وبين المدارك التي نشأت في عقله على اثر اتصاله بالحياة اليومية ومعرفته المبهمة لجانب من الديانات الاخرى وبعد ان اسنّ محمد السنن واشترع القوانين ، ووضع القواعد بصفته منشيء دولة ضخمة ، وظهرت نتائج اعماله التي اجراها بسائق رغبات ذاتية او اذعاناً للحوادث . وبعبارة اوضح قد فصلوا العنصر الالهي بمعناه الواسع عن العنصر الانساني الذي امتزج في قلب النبي نفسه فقصروا الالهي على بعض اعمال لا تحتمل الشك ولا الجدل وبخاصة فيما يتعلق بالفترة الاولى من ايام الرسالة حيث كان محمد وهو ذلك الرجل الهادئ الوديع مقيما بمكة . ولم يلبث ان دفعه حينذاك صوت خفي قاهر الى الجهر بارائه ، والعمل على نشرها بالرغم مما لاقاه من السخرية والاهانة من مواطنيه . وهاك ما يقوله واحد من هؤلاء الكتاب وهو الامير كايتاني Caitani في صحيفتي ١٩٧ و ١٩٨ من مقدمة كتابه « حوليات الاسلام » ونصه :

« وبدلا من أن يكون محمد رجلا جامداً من اولئك الرجال الذين يقضون حياتهم على وتيرة واحدة لا تغيير فيها ولا تبديل ، فانه كما نعلم يقيناً من القرآن قد تطور عدة تطورات بحسب حاجات الجهاد الملحة في سبيل الحياة وتحت تأثير الحوادث المفاجئة التي لاقاها في حياته المضطربة كل الاضطراب وقد خضع لمدة تطورات خلقية عظيمة ثم مات بعد عمل شاق وجهاد متواصل استغرقا نحو ربع قرن من الزمان كان عند وفاته قد اختلف كل الاختلاف عما كان عليه في بدء ايام الجهاد . ولئن كان محمد قد أثر في حوادث العالم

بأثره فان صغرى حوادث حياته كان لها فيه هو تأثير كبير . ولقد بقيت آثار ذلك التطور ظاهرة كل الظهور في القرآن الذي هو اكبر مراجعنا الاصلية واجدر مستنداتنا بالثقة والاعتبار كما انه من الممكن الوقوف على هذه الآثار من الاحاديث المأثورة عن النبي ، اذا ما تيسر الوقوف عليها وقراءة ما بين سطورها .

ولقد كان تطور محمد في بعض العهود سريعاً جداً حتى ان الايمان الخالص المطلق الذي كان يتحلى به المسلمون الصادقون ، لم تكن لديه القدرة الكافية لمحو آثار هذه التطورات ، ولقد ظلت آثار هذه التغييرات بارزة في القرآن ، حتى انه كان من الممكن اعتماداً عليها ، ان يعاد وضع آياته بحسب ترتيب ازمان نزولها في ثقة تكاد تكون مطلقة .

أما التقدم التاريخي في التطور الذي يلاحظ واضحاً كل الوضوح في مدة نزول الآيات في المدينة فلا يمكن التسليم عقلا بان يكون قد حصل في تلك المدة المعلومة ، بل لا بد أن يكون قد بدأ قبل ذلك بكثير ، ولهذا كان من الممكن ان نؤكد غاية التأكيد ، ان محمداً لا بد وان يكون في بدء حياته رجلا مختلفاً كل الاختلاف سواء من الوجهة العقلية أو الاخلاقية أو الدينية عما كان عليه بعد الهجرة عندما صار سيداً لاهل المدينة واضاء في افق التاريخ بعد ان تخلص من ظروف ايام الرسالة الاولى » ... ا. هـ.

هذا ما يقوله كايتاني Caitani أما المسلمون فيتفقون مع جماعة المستشرقين في الاعتراف بان كثيراً من قواعد ديانتهم مماثل أو مشابه لنظائرها في الديانتين الاسرائيلية والنصرانية ولكنهم لا يرون أن هذا يستدعي انكار نبوة محمد ، بل هم على النقيض من ذلك يرون في هذا تأييداً لما قاله محمد من انه

خاتم الانبياء والمرسلين . ومن بين هؤلاء المسلمين من يمكننا أن نطلق عليهم لقب « المجددين » الذين وصلوا الى التسليم بان بعض هذه الاراء والقواعد التي قبلها جمهرة المسلمين والتي تكرر بحثها ومناقشتها على ضوء النقد الحديث لم تكن الا ثمرة لعمل الإجيال التالية لمحمد .

ولكن هنالك بوناً شاسعاً بين الفكرة الاوروبية وبين الفكرة الاسلامية الرشيدة التي يتجلى اثرها في تضاعيف القرآن وفي تعاليم النبي الكريم . فان الاولى وهي الفكرة الاوروبيه ترى ان الكتاب« القرآن » صورة لتطور نفس محمد ومجموعة مؤلفة من عناصر مختلفة من السهل ادراك اختلاف قيمة بعضها عن قيمة بعضها الآخر. وان محمداً رجل يخلط بين الوحي السماوي والالهام البشري فيا بينه وبين نفسه ، ويستغل (في كثير أو قليل من حسن النية) تبعاً لحاجات نفسه وحسب الظروف والملابسات التي كان يعلن فيها وحيه ولما كان فضلا عن ذلك ، من غير رجال اللاهوت وعلماء الجدل والكلام فقد وقع في تناقضات ظاهرة ستضطر المتعلمين والمتادين المناقشة بالحجج المنطقية الى بذل كثير من الجهد في سبيل تنسيقها .

واما الفكرة الثانية ، وهي الفكرة الاسلامية ، فتقول بان القرآن قديم ازلي غير مخلوق بل هو معجزة سماوية لا يستطيع الناس أن يقلدوه أو يأتوا بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وهو قديم موجود منذ الازل ، وان محمداً كان رجلا امياً غير متعلم ، ومنفذاً للمشيئة الالهية ، قد جاء الناس بهذه المعجزة الباهرة من عند الله كما هي في وجودها الالهي ومثالها السماوي ، بلا تغيير فيها ولا تبديل . على هذا المثال جاءت السنة التي تناقلها الخلف عن السلف بالتواتر ، وهي الحديث الذي يعد المؤمنون بمجموعة من التعاليم التي انزلت كلها بوحي

سماوي ولذلك كانت هي الاخرى غير قابلة للتحوير ولا تبديل .

ازاء هذه الاختلافات البينة في وجهتي النظر بين المسلمين والمستشرقين المكبين على دراسة روح الاسلام لم استطع ان استأنس في كتابي هذه الاباتزر اليسير ، وبمنتهى الدقة والتحفظ من آراء اعلام المستشرقين من الاوروبيين ، واعتمدت بخاصة على ابحاث جولد زيهر Goldziher العظيمة ، وعلى كتابات كبار المؤلفين من المسلمين . واني وان كنت قد استثنيت الاقدمين المشهورين منهم كالغزالي واضرابه الا اني قد عولت كثيراً على ما سطره الكتاب الحديثون المجددون الذين تتفق اراؤهم وروح العصر الحاضر ، لا سيما المتصلين منهم بالحياة الغربية فانهم ادركوا ان في الدين الاسلامي القدره والكفاءة في التكيف وفق حاجات العصور الحديثه ولذلك حاولوا ان ينسبوا اليه حركة تطورية . ولما كان جل همهم الاشادة بعظمة الاسلام وجوهره ، واظهار محاسنه التي لا ريب فيها ، فقد سطروا صحائف قيمة يستطيع اكثر النقاد الاوروبيين تشدداً وحماسة ان يتقبلها بقبول حسن .

واما المراجع التي عولت عليها فهي :

١ — « الاسلام والرد على منتقديه » وهو مجموعة مقالات للامام محمد عبده ولغيره من مشاهير اعلام المسلمين.

٢ — « الاسلام والنصرانية » للامام محمد عبده

٣ — « مختارات من مقالات سياسيةودينية ظهرت في مجلة العروة الوثقى وهي التي كان يصدرها في باريس جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده . وجمعت بعد ذلك في كتاب مطبوع في مطبعة التوفيق .

٤ — « الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة المحمدية » وهي رسالة كتبها

الشيخ الجسر واهداها الى السلطان عبد الحميد

٥ — « كتاب المدنية والاسلام » للاستاذ محمد فريد وجدي

٦ — « كتاب اظهار الحق » لرحمة الله ابن خليل

٧ — « الدين الاسلامي لا ينافي المدنية » وهو مقال للاستاذ الزهراوي نشر بالجريدة في يوم ٧ مايو سنة ١٩٠٧

٨ — « كتاب روح الاسلام » لامير علي

٩ — « كتاب عبقرية الاسلام » لعثمان بك قبرصلي زاده

١٠ — « تقرير نعمان كامل بك في مؤتمر المستشرقين الدولي العاشر »

١١ — « تقرير الاستاذ عمر لطفي في مؤتمر المستشرقين الدولي العاشر »

١٢ — « مقالات مختلفة نشرتها مجلة المنار » وغيرها

ولما كنت اريد ان اضع عن الاسلام كتابا جامعا شاملا ولم يكن ذلك من السهولة بمكان لان المراجع السالفة الذكر قد تجلت فيها ميول مختلفة وابتعد كاتبوها احياناً عن حدود الاسلام ، كما وضع ، تلك الحدود التي رسمتها واقامت معالمها اجيال انقضت في جهاد ومناقشة وبحث وذلك بحيث يظهروا الاسلام بمظهر دين صحيح جديد متأثر بالافكار الاوربية الحديثة ، فلهذا لم اعتمد على كل ما ادلى به كل واحد من هؤلاء الكتاب من البراهين وما وصلوا اليه من النتائج ، بل اخترت منها ما أجمعوا على صحته وقبله العالم الاسلامي الحاضر ، واقتصرت على الاشارة الى النصوص التي اعتمدت عليها اللهم الا في حالة الاشارة الى فكرة مؤلف اصلية تخالف اراؤه مراجعي التي اعتمدت عليها اولا تتفق ومجموعة الاراء التي نستطيع ان نطلق عليها اسم « فكرة الاسلام الاتباعية » .

الفصل الاول

سرعة انتشـــار الاسلام

من صنع الحكمة الالهية

في بلد قفر بواد غير ذي زرع ، منعزل عن الانسانية المتمدنة ؟ تفجر ينبوع ماء سلسل عذب منعش بين قوم من الهمج جبابرة غلاظ القلوب لا يخضعون لسلطان ولا يتقيدون بقيد . ذلك الينبوع هو دين الاسلام الذي تدفق بغزارة واتخذ سبيله في الارض سربا فكان نهيراً استحال بعده الى نهر عظيم سرعان ما تفرعت منه آلاف الجداول والانهار التي تغلغلت في البلاد طولا وعرضاً ولم يلبث الناس ان تذوقوا هذا الشراب العجيب وشفوا من امراضهم الاجتماعية واتحد المختلفون منهم والمتخاصمون وانطفأت نيران الحقد والكراهية المشبوبة في صدورهم وزالت من بينهم اسباب النفور والخلاف

فبعد ان كان حب الانتقام والاخذ بالثأر هو السائد فيهم اذ لم يكن منهم من تربطه باخيه في الوطن أية رابطة اجتماعية اللهم الا آصرة القرابة والرحم ، تبدلت أحوالهم وساد بينهم شعور طريف هو شعور المحبة والاخاء واصبحوا بنعمة الله اخواناً يؤمنون بفكرة واحدة في الدين والخلق .

استحال هذا الماء المقدس سيلا جارفا اكتسح بقوته الساحرة بلاداً عظيمة فثل عروشها وطوى مجدها طي السجل للكتب قبل ان يتمكن اهلها من ان يعدوا العدة لهذا الحادث الجلل فتغلب عليها واكتسحها اكتساحاً

وايقظ بصيحته العقول الغافلة التي كانت تغط في سبات عميق وكون من تلك الامم المتعددة شعباً واحداً عظيما .

لم يشهد التاريخ حادثاً مماثلا لهذا الحادث الخطير لان السرعة العظيمة التي أتم بها الاسلام فتوحاته كان لها ابلغ الاثر في حياته . اذ انه بعد ان كان عقيدة نفر قليل من المتحمسين اصبح ديناً لعدة ملايين من الناس وليت شعري كيف تأتى لهؤلاء المجاهدين غير المدربين ان ينتصروا على شعوب يفوقونهم مدنية وثروة ويزيدون عليهم دربة ومراساً الحروب وكيف استطاعوا ان يبسطوا سلطانهم على بلاد متسعة الارجاء وان يحتفظوا بفتوحاتهم هذه ويوطدوا هذا الصرح العظيم الذي ثبت أمام حروب شديدة استمرت قروناً عديدة فلم تقو على هدمه ونقض بنيانه الشامخ المتين ، وكيف امكن هذا الدين ان يوطد في نفوس اولئك المهتدين الحديثي الايمان أمتن الاسس وكيف تسنى له ان يحتفظ بحيويته العظيمة التي لم تعرف مثلها ديانة اخرى من قبل حتى بعد ثلاثة عشر قرناً خلت بعد حياة مؤسسه .

وكيف استطاع هذا الدين ان يغرس تلك الحماسة الدينية في نفوس اتباعه الجدد المختلفين عن اتباعه الاول في الجنس والثقافة فحذو حذوهم في الاخلاص له والتضحية في سبيله . لعمري ان هذا كله لما يبعث في الانسان الشيء الكثير من الدهشة والذهول

قام الاسلام في نشأته الاولى بمكة وكانت دعوته اذ ذاك قاصرة على عبادة الله واحد ثم اصبح بعد هجرة محمد واصحابه الى المدينة قوة سياسية عظيمة فان ذلك الرجل الذي احتمل الكثير من اضطهاد قريش له وسخريتهم به لم يلبث بعد ان اوحى اليه من الله الدفاع عن نفسه ان شهر سلاحه في وجوه

اعدائه ولم يضمه بعد ذلك .

لم يمض عامان على ذلك التاريخ الذي كانت على اثره نهضة الاسلام وبزوغ نجمه وتألق نوره في سماء الاجتماع والسياسة حتى انتصر المسلمون انتصارهم الباهر على اهل مكة في غزوة بدر الكبرى . واذا استثنينا بعضا من الهزيمات البسيطة التي لم يكن منها بد فقد احرز المسلمون انتصارات باهرة في سلسلة من الغزوات المنتجة (وقد كانت هذه الغزوات مشروعة في بلاد العرب منذ اقدم العصور ولم يكن ينظر اليها بالعين التي تنظر بها اوربا في الوقت الحاضر وكتب لهم الفوز في فتوحات هامة سواء في ميدان الدين او في ميدان السياسة وقد انتهت هذه الفتوحات في السنة الثامنة من الهجرة بذلك الحادث ذي الاهمية العظمى وهو فتح مكة .

خرجت بعد ذلك جماهير من فرسان العرب من صحاريهم المتقطعة ولم يلبثوا ان اشرفوا على حدود فلسطين واندفعوا في شجاعة نادرة المثال نحو البلاد السورية وعندما خفت صوت النبي في العام الحادي عشر من الهجرة ذلك الصوت الذي وصل الى اعماق القلب البشري وكان على وشك ان يحدث دويا عظيما في الآفاق النائية كانت قد اعدت حملة عظيمة تفوق سابقاتها لهذا الغرض .

في هذا الظرف كانت العرب بامرها متحدة مؤتلفة كأنهم البنيان المرصوص فلم تنجح محاولات نفر من عصاة البدو في الرجوع بالبلاد الى فوضى الجاهلية الاولى عندما خرجوا على حكومة المدينة وشقوا عصا الطاعة وارتدوا عن الاسلام

افليس من اكبر معجزات هذا الدين الجديد ان يؤلف بين قلوب اقوام كهؤلاء العرب عاشوا اجيالا عديدة في مخاصمات شديده وحروب اهلية مستمرة

فعرفوا بفضله الاتحاد والاخاء والسلام

اما ما ورد في القرآن من ان الاسلام دعوة عامة للبشر كافة فقد شملت التأكيد في سورة الانبياء بان الله قد ارسل نبيه رحمة للعالمين (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) واما الموضع الذي وصفت به التعاليم الالهية بأنها دعوة عامـة موجهة للعالمين ففي سورة يوسف (ان هو الا ذكر للعالمين) وقد جاءت هذه الآية بالنص في سورة التكوير وجاء في سورة القلم (وما هو الا ذكر للعالمين)

وقد قصد بكلمة (العالمين)في هذه الايات الى الانسانية باوسع معاني الكلمة واما الاحاديث المتعددة التي جاء فيها ان النبي قد بعث الى الناس كافة فمنها قوله: (بعثت الى الاحمر والاسود) الى غير ذلك من العبارات المماثلة او التي تشير الى فتوح مستقبله وغارات وغزوات انفذت في ظروف متعددة وبديء بها في حياة الرسول والتي تشير الى العلاقات التي اجتهد هو في ايجادها مع الدول الاجنبية —كل ذلك تراه بلاشك دليلا محسوساً على ان الرسول كان يشعر ولا ريب بان رسالته تتخطى حدود بلاد العرب وانه كان يرمي الى نشر هذا الدين بين الامم التي تختلف عن العرب في الجنس واللغة

واما الخلفاء الذين خلفوا محمداً في حكم الدولة الاسلامية والذين كانوا تراجمة ضميره فقد ساروا على سنته التي سنها لهم وجعلوا راية الاسلام ألي قلب القارة الاسيويه من جهة،والي امواج المحيط الاطلسي من الجهة الاخرى

لم تكن قد مضت سوي ست عشرة سنة عندما سقطت دولة الفرس في ايدي العرب بعد موقعة القادسية مع ان هذه الامبراطورية ظلت مدى اجيال عديدة في عراك مستمر مع الامبراطورية الرومانية الشرقية بدون ان تتغلب احداها على الاخرى انما ملك الفرس (كسرى)،فقد هرب من العرب وجعل يلجأ الى اقليم بعـد

اقليم حتى بلغ حدود بلاده ومات في سنة ٣١ هجرية وبذلك صارت امبراطورية الفرس باجمعها بلاداً عربية .

احتل العرب كذلك فلسطين وسوريا ولم ينصرم العام التاسع عشر للهجرة حتى صارتا بلاداً عربية . وفي سنة ٢٦ هجرية كانت جيوش العرب الظافرة تتدفق نحو حدود الموصل وفي قلب بلاد ارمينيا وعندما انشأ العرب اسطولهم كانت لهم في كل عام حملة تقوم من اطراف سوريا لغزو بلاد آسيا الصغرى وقد انتهى بهم الامر الى ان هددوا الامبراطورية البيزانطية في عاصمتها نفسها. وفي سنة ١٨ هجرية ظهر اول جيش للعرب في مصر . وفي سنة ٢١ هجرية استسلمت الاسكندرية للغزاة من الاعراب . وفي سنة ٢٣ فتحت طرابلس الغرب وفي سنة ٢٧ قامت اول حملة عظيمة لغزو افريقيا الشمالية كما احتلت بلاد النوبة

ولكن ما فائدة الاسترسال في ذكر هذه التواريخ التي قد يطول شرحها وحسبنا ان نذكر ان الجيوش كانت على اتم استعداد للحروب ولم تكن لتعوزها الحماسة للقتال ، كما كانت المواقع الحربية تتتابع واحدة تلو الاخرى حتى ليخيل للمرء ان هذه الانتصارات الباهرة المتواليه التي نالها هؤلاء الفاتحون كانت تضم اجنحة لاقدامهم اذ كانوا يجدون في هذه الفتوحات بمنتهى ما يمكن من السرعة ثم ان خلافة ابي بكر (سنة ١٣ هجرية) وخلافة عمر (سنة ٢٣ هجرية) وخلافة عثمان (سنة ٣٥ هجرية) كل اولئك اشتهرت بانتصارات عظيمة اعقبها ايجاد نظام جديد لتوطيد هذه الفتوحات ولم يكن هذا النظام ليقل عنها حكمة وعلو شأن

بعد ان زالت مدنيتا الدولتين الفارسية والرومانية وتهدمت ديانتاهما سرى في عروق الشعوب تيار جديد وانتشرت بينهم ديانة جديدة بسيطة تتحدث الى العقل والى القلب معا كما ظهر نظام جديد للحكم يفضل كثيراً تلك النظم التي

كانت متبعة هناك في ذلك الوقت نظراً لمبادئه الخلقية القوية كذلك انتقل المال المحبوس في خزائن الاشراف الى ايدي الفقراء وعامة الشعب واخذت تتناوله الايدي مرة ثانية وتستفيد من ثمراته وقد ظهر في الحكم رجال اذكياء مستنيرون اقاموا حكومة رشيدة تستند الى آراء ديموقراطية صحيحة ، وقد تدرجوا في الحكم وتبؤا اسمى المراكز . ثم لما هدأت عاصفة الفتوحات وما تبعها من فوضى وتعسف ، بدأ عهد جديد ، عهد نجاح وثراء لم تره القارة الاسيوية منذ قرون بعيدة كما ان المقهورين كانوا يجدون من حكامهم الجدد كل ضمان لطمأنينتهم ويتمتعون بكافة حقوقهم المشروعة كما ان ارواحهم واملاكهم كانت مكفولة وبالجملة كانوا يعاملون معاملة اخوانهم المسلمين سواء بسواء

• • •

اخذ الناس الذين دهشوا لهذا الانقلاب الاجتماعي الديني السياسي يتساءلون عن سببه الاول ولكن الكثيرين منهم كانوا لا يبصرون او تعمدوا اغماض عيونهم فظلوا يتخبطون طويلا في مجاهل الغلط والشطط ولم يدركوا ان القوة الالهية هي التي اعطت الاشارة الاولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق ولم يشاؤا ان يصدقوا ان الحكمة الالهية هي التي اقتضت ان يكون محمد خاتم الانبياء والمرسلين وسجلت له الى الآن رسالة عامة الى الناس اجمعين بغير تمييز بين جنس وجنس او بين بلد وبلد

ظل هؤلاء في ضلالهم يعمهون وجرهم خبث نيتهم وسوء طويتهم الى مناوأة الاسلام ومناصبته العداء فاخذوا يتهمونه بانه كان روح عدوان وانه فرض على الناس بحد السيف وجعلوا يرمونه بالتعصب وقلة التسامح كما شوهوا صورة محمد ورموه باشنع التهم كالقساوة والسفالة والدناءة وانكروا عليه عمله العجيب

كصلح ديني وسياسي قدير وحاولوا اظهار اصحابه واعوانه في صور رجال مغرضين كانت تدفعهم الى مناصرته شهواتهم ومصالحهم الخاصة

ويجب علينا قبل ان نرد على هذه التهم ، ان نتفاهم على تكييف عبارة (روح العدوان في الاسلام) فهل تفيد هذه العبارة ان محمداً كان الوحيد من بين رؤساء الديانات الذي شهر سيفه وجهز حملات حربية وكان دائماً يتطلع الى فتوحات بعيدة المدى وان خلفاءه واتباعه قد صاروا على سنته . اننا نعترف ونقر بان هذا كله صحيح الا انه يجب البحث بغير تحيز عن السر في ما ذكر ولكن اذا اريد القول بان الالتجاء الى الحروب المدمرة والفتح بقصد نشر الدين كان مبدأ من مبادىء الاسلام فاننا هنا نحتج ونخالف القائلين بذلك بل يمكننا ان نثبت استناداً الى نصوص القرآن الذي في ايدينا والى اعمال محمد ان هذه المزاعم ليس لها ظل من الحقيقة.

وذلك ان النبي الذي كان يدعو الى دينه بمكة ويتحدث عن الوحي السماوي كشاعر ملهم محتملا في هذا السبيل صنوف الاهانات والاضطهادات من قريش بصبر وجلد عجيبين ، وقد صمم تصميما جازما على الهجرة الى المدينة ولما دخل في هذا الصراع كان مخيراً بين امرين اما ان يغلب على امره ويقبع في عقر داره وهذا ما لم يرده الله واما ان يحارب هؤلاء الاعداء ليدفع أذاهم عنه وعن اصحابه وكان الصراع قائماً بين فوضى الحكم ومادية الجاهليين الغلاظ ونفاق اليهود الذين وان كانوا اكثر مدنية واستنارة الا انهم كانوا متعصبين لا يعرفون التسامح وبين مثل اعلى للتجدد الديني والاجتماعي . وكان محمد يريد تحقيق هذا التجديد على يديه مهما كلفه ذلك فحارب وكانت حربا بين

ضعفه وقومهم وفقره وغنام ولكنه كان في هذه الحروب قويا بشعوره بانه صوت الحق بين الاكاذيب وانهم على ضلال وانه هو الهادي الى سواء السبيل

على ان اول ما قام به النبي عند دخوله المدينة ان مد يد الصداقة الى اليهود الذين كانت لهم فيها حين ذاك جالية تتمتع بالقوة والثراء ودعاهم الى التعاون معه في سبيل ايجاد وحدة سياسية واجتماعية . ولكن عندما ظهرت له عداوتهم المتأصلة وخبث سريرتهم وغدرهم وخيانتهم اضطر اذ ذاك لمحاربتهم والضرب على ايديهم . اما محاربته لاعدائه من غير اهل المدينة فقد كانت ضرورة اقتضتها الظروف لانــه لم يكن من المستطاع سكون العرب الى حالة سلم دائمة وقــد تعودوا منذ القدم ان تكون الحرب لهم مهنة وباب ارتزاق . ولما كان الاسلام قد وضع حداً للخصومات والمشاكل بين المؤمنين فانهم لم يروا بداً من التطلع الى القبائل التي لا تتحالف معهم

ولقد كان من شأن هذه الحروب والانتصارات انها امدت المهــاجرين مع النبي باسباب الحياة في وقت كانوا فيه محرومين من موارد الرزق ووسائل المعيشة وكونت وحدة جديدة مؤتلفة كما انها كانت مبعث حياة وهــدى لقوم عرفوا بالخشونة والاستهداف للمخاطر فلم تكن الحرب اذن غرضا من اغراض الاسلام بل كانت وسيلة لا محيص عنها لنشر الايمان الصحيح وكانت دفاعا ضروريا ولم تكن اعتداء ظالما ولقد بين القرآن بجلاء هذه الفكرة الاخيرة واليك ما جاء في سورة البقرة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله تعالى في نفس هذه السورة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)

ومما لا امراء فيه ان جهل الطبائع البشرية وحده هو الذي يمهد للادعاء بان

المسلمين لم يكونوا مدفوعين في فتوحاتهم بروح العدوان ولكن هل من الانصاف ان يتهم الدين الاسلامي نفسه بهذا العدوان ؟ في الواقع ان الغزاة المسلمين لما انسوه من قوتهم وضعف الامم المحيطة بهم لم يكن هناك ما يكبح جماحهم ويبقيهم في حدود القانون

على ان العرب الظافرين كانوا وهم في اوج قوتهم وامتداد شوكتهم يطلبون من الشعوب التى يتغلبون عليها الكف عن كل عمل عدائي وتأدية الجزية هذا اذا لم يعتنقوا الاسلام ويدخلوا في حظيرة الوحدة الاسلامية وبذلك يتمتعون بما للمسلمين من حقوق . وان تاريخ دعوة محمد والفتوحات الاسلاميـة الاولى لتدفع عن الدين الاسلامي تلك الفرية القائلة بان الاسلام فرض بحد السيف وبانه لم ينتشر بغير هذه الوسيلة فقد جاء فى القرآن فى سورة البقرة ما نصـه (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها والله سميع عليم) وجاء فى سورة الكهف (وقل جاء الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

ولما كان محمد قد صدع بهذه الاوامر الالهية فانه كان كثير التسامح وبخاصة مع اهل الكتاب كما انه اخذ المشركين بالكثير من الصبر والاناة لانه كان يتوقع هدايتهم مع الزمن . واما البدو من اهل الصحراء الذين كانوا ينفرون من كل قيد فانه كان يقنع منهم بالاسلام الذى لم يكن الا شكليا في اغلب الاحيان لانه كان يعلم يقينا ان كلمة الله لا بد وان تصل في النهاية الى القلب البشري . وقد قال لاحد انصاره ذات يوم اتريد ان تكره الناس على الايمان مع الدين وحده .

وعند ما انزلت آيات القرآن التي توصي بالتسامح لم يكن محمد رجلا

خياليا يتبعه جماعة من الخياليين امثاله كلا ولم يكن فيلسوفاً افحمته قوة خصومه بل كان اذ ذاك في اشد ايام قوته وعظمته وكان على رأس حكومة قوية منظمة وتحت امرته جيش ممتلىء بالحمية والحماسة وكان في استطاعته اعمال السيف حيث شاء ومتى شاء .

اما تسامح الخلفاء الراشدين مع اهل الكتاب فثابت من تاريخ فجر الاسلام ولم يعرفوا بالشدة الا مع الوثنية التي حاربوها في غير هوادة لأنها كانت عقيدة لا تتمشى مع المدنية باية حال . وكما فعل النبي مع النصاري من اهل نجران اذ ضمن لهم بقاء معاهدهم الدينية وحمايتها وكما اوصى احد قواده الذين بعث بهم الى اليمن بالا يتعرض لاي يهودي في دينه كذلك فعل هؤلاء الخلفاء اذ كانوا يزودون قواد جيوشهم بمثل هذه الوصايا قبل ذهابهم الى ميادين القتال .

وكما كان النبي يعقد المعاهدات مع خصومه المغلوبين على امرهم فكذلك فعل الخلفاء اذ كانوا كلما تمادوا في الظفر والانتصار يرتبطون مع المقهورين باوثق المعاهدات ويتركون لهم الحرية في البقاء على دينهم وتقاليدهم القديمة في مقابل اداء فريضة هينة غاية في الاعتدال وهي (الجزية) التي كانت اقل بكثير مما كانوا يدفعونه من الفرائض لحكوماتهم السابقة . وكان الخلفاء يشملون رعاياهم هؤلاء الذين كانوا يسمونهم اهل الذمة بحماية ورعاية لا تقلان عما كان يتمتع به المسلمون .

ولما كانت تعاليم النبي وخلفائه الاول تعتبر بمثابة قانون للمسلمين فانه يمكن القول بحق ان الاسلام لم يقتصر على التوصية بالتسامح بل انه قد ادمجها في قانونه السماوي بحيث صارت قاعدة اصلية من اصول الدين .

فعند ما كان يتم الصلح مع الشعب المقهور كان المسلمون يتركون له حرية الفكر وحرية العقيدة ولم يحاولوا حمله بالعنف على تغيير عقيدته الأولى كما أنهم لم يرسلوا مع جنودهم الفاتحين حملة من جماعات الوعاظ والمبشرين الرسميين المحترفين بقصد نشر الدين .

وفي الحقيقة وواقع الأمر أن المشاهد من زمن بعيد أن هناك واجبا محتما على كل من يعتنق الديانة الاسلامية وهو ان يتقدم للقاضي بالاقرار من نفسه بأن اعتناقه الدين الاسلامي انما هو بمحض اختياره وليس نتيجة اكراه ولا اجبار من احد وليس من اجل عرض من اعراض الدنيا، ومثل هذا العمل ليس من شأنه تسهيل نشر الاسلام، وقد وصل الأمر في زمن خلفاء بني أمية الى حد اقامة الصعوبات والعراقيل امام دخول الشعوب المغلوبة في الاسلام وذلك لاسباب اقتصادية لأن اسلامهم كان يعفيهم من اداء الجزية الأمر الذي يترتب عليه نقص كبير في ايرادات الدولة .

ولم يكن النصارى واليهود ليتركوا شأنهم بغير مضايقة لهم في امر دينهم فحسب، بل كانوا يرقون الى اعلى المناصب متى سمحت لهم بذلك مؤهلاتهم وكفاياتهم الشخصية وهناك امثلة كثيرة لا تدخل تحت حصر تشهد كلها بذلك

ولا ننكر أن اليهود والنصارى كانوا يلاقون في بعض العهود المتأخرة شيئا من المضايقة فى اقامة شعائرهم الدينية وكانوا يلزمون بحمل علامات وشارات تميزهم عن المسلمين وكانوا يمنعون من اقامة كنائس جديدة او اصلاح القديم منها على ان هذا لم يقع الا في حالات نادرة وذلك عند ما دخلت امم اخرى من غير العرب في حظيرة الاسلام وحملت اليه ميول التعصب والكراهية الدينية التي كانت متأصلة في نفوسهم وطباعهم قبل الاسلام .

ولا نستطيع ان ننكر ان الاسلام كباقي الديانات الاخرى لم يعرف تلك الميول التي كانت سببا في اراقة الدماء واستعار نيران الاحن والاحقاد ولكن يجب ان نعترف ان اسبابها الاولى كانت بالغالب نتيجة عوامل خارجة عن الدين على انه سرعان ماتبدلت هذه الاحوال وعاد عهدالخير والطمأنينةوالصفاء سيرته الاولى .

وكذلك قامت خصومات عنيفة داخلية بين فرق الاسلام المختلفة تخللها شيء من العنف والاضطهاد ولكننا اذا ما بحثنا عن اسباب هذه الخصومات والباعث عليها لوجدنا ان منشأها المسائل السياسية وتنازع الحكم على ان السياسة كان لها ابلغ الاثر .

كذلك قام اعداء الاسلام الالداء الذين اعماهم الحقد والتعصب واتهموا رسول الله ذلك الرجل النبيل الذي كان ينظر اليه قبل الرسالة نظرة اكبار واجلال من جميع مواطنيه لما تحلى به من الامانة والسجايا الكريمة . وكانت هذه التهمة التي رموه بها مما لا يقبله عقل ولا يمكن ان يسلم به عاقل فضلا عن انها لا تقوم على أي أساس وهي تهمة الغش والخداع . وليت شعري كيف ان هؤلاء الناس لم يسألوا انفسهم اذا كان النبي في الحقيقة كاذبا فكيف اجترأ على ان يوجه في القرآن الى الكذابين والمخادعين أشد عبارات الذم واقساها . وكيف توعدهم بالنار وسوء العذاب . وكيف تسنى له ان يقوم بدعوته اذا لم يكن هناك وحي الهي يدفعه اليه . واذا كان كاذبا في دعوته كما يفترون فكيف صمد المقاومة اكثر من عشر سنين وهو في مكة احتمل في اثنائها الشيء الكثير من صنوف الاضطهاد والالام وهو ذلك الرجل الوديع الهادىء الطباع . وكيف تهيأ له ان ينحاز اليه طواعية واختيارا

بل وعنتهى التحمس جاعات كبيرة من رجالات قريش ونبلائهم وان ينضووا تحت لوائه مع غيرهم من السوقة والعبيد ؟؟؟ او ليس ذلك لانهم تبينوا صدقه وتحققوا صحة ما جاء به ؟

حسبنا ما قدمناه من الادلة والبراهين . لان رجال الغرب ايضاً قد بدأوا يقتنعون بان اخلاص محمد فى دعوته كان امراً لا ريب فيه

أما تهمة القسوة التي يوجهونها اليه فمن السهل دفعها لان محمداً الذي كان على رأس حكومة ويتولى الدفاع عن حياة الشعب وحريته كان يحاكم الخارجين على القانون بصرامة وشدة اقتضتها ظروف البيئة التي كان يعيش فيها .

ولقد كان محمد — كرسول يدعوا الى الله — رجلا رحيما لين الجانب حتي لاعدائه الشخصيين وبذلك اجتمعت فيه فضيلتان كلتاهما اكبر الفضائل التى يتصورها العقل البشري وهما الرحمة والعدالة . ولا نرى بنا من حاجة الى ايراد الامثلة على ذلك فمن السهل الوقوف على كثير منها في الكتب الموضوعة عن تاريخ حياته . وبحسبه ان الحرب التي هى اقصى ضرورات الحياة الانسانية قد صارت بفضله أقل وحشية وقسوة . اذ انه كان يطلب الى جنوده الا يقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلا ولا يهدموا بيوتاً لم تتخذ كمعاقل حربية . ولا يدمروا ما بهـا من اسباب الحياة والا يمسوا الاشجـار المثمرة والنخيل .

وفي فصل تال سندفع التهمة الاخرى التي رموه بها وهى تهمة الفسق والفجور وسنظهر بكل جلاء عظمة اعمال ذلك المصلح التى قام بها في سنين قلائل غير في اثنائها تلك الامة الهمجيه الوثنية وكون منها شعبا سامي الشعور يعبد الها واحداً ولن نتردد في الرد على القائلين بان معظم انصار محمـد كانوا

من ذوي المآرب الشخصية وقطاع الطرق وانهم ما كان يدفعهم للانضمام اليه الا حبهم الغنائم والاسلاب . ويضيق بنا المقام اذا حاولنا ان نذكر الامثلة العديدة على ما امتاز به معظم رجال محمد من الحماسة العظيمة والرحمة والنبرة وكرم الخلق اذ ان من المعارك ما لا يمكن ان يحرز فيها النصر من لم يكن قلبه مشبعا بالحمية والايمان والخلق الكريم والرأي السديد

والان وقد انتهينا من الرد على تلك التهم التي وجهت الى الاسلام في الغالب نضم هذا السؤال :

كيف لم ينقطع الاسلام عن الانتشار والذيوع في افريقيا واسيا رغم حرية الاعتقاد الكبيرة التي يتمتع بها غير المسلمين في البلاد الاسلامية ورغما عن عدم وجود نظام للدعاية الاسلامية ورغما من الانصراف عن الاهتمام بالشئون الدينية في هذه الايام الاخيرة وهو الان لا يسبقه سيف الفاتحين بل على النقيض من ذلك فان البلاد التي كانت ترفرف فوقها رايته اصبحت محكومة برجال ذوي عقائد اخرى ولم يستطيعوا مع ذلك ان يصرفوا رعاياهم عنه او يقتلعوه من قلوبهم

فاية قوة عجيبة تنطوي عليها هذه الديانة وما هي قوة الاقناع التي تستند اليها وفي اية عروق النفس البشرية تجد غذاءها وقوام حياتها ؟؟؟

الفصل الثانى

بساطة العقيدة الإسلامية

يتطلب الاسلام من الرجل امرا مزدوجا وهو ان يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله

ولما كان اليهود والنصارى اذ ذاك قد ضعف ايمانهم بعقيدتهم فقد دعاهم النبي ودعا معهم عبدة الأوثان الى ديانة التوحيد وهي خير ديانة أخرجت للناس تنفيذاً لما اوحى اليه من الله وأخذ يناضل نضالا شريفا ضد كل فكرة تجعل مع الله الها آخر (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد ... « سوره الاخلاص »)

ولم يؤثر النبي في افكار الناس بمعجزات من خوارق الطبيعه لكى يهديهم الى الايمان بوحدانية الله ولم يرهقهم بتهديدات سماوية تنخلع لها قلوبهم بل دعاهم دعوة تحقيق وايضاح وبينة وافصاح ولم يخرج بهم عن ميدان الحق الصريح والمنطق السليم وطلب اليهم ان ينظروا في الكون وما حواه من حكمة واعتبار ذلك لان الانسان اذا ما تصفح كتاب الطبيعة لا بد ان يستنتج وجود خالق واحد هو المبدع لهذه الكائنات وكانت دعوته هذه كما قال الشيخ محمد عبده وأمير علي موجهة الى قلب الانسان وعقله المفكر وقد جاء فى سورة البقرة (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الارض بعد

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)

وفي القرآن كثير من الآيات التي تحض على الاعتبار بنظام الكون والطبيعة ولكننا نكتفي بايراد بعض آيات وردت في سورة الرحمن (والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان . رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان)

انهدمت الوثنية في جميع صورها المختلفة بفضل الاسلام وبذلك تحررت المدارك ونشطت العقائد وخلصت الحياة الاجتماعية من مظاهر الوحشية التي كانت تشوه جمالها وتحط من قدرها وانقشعت الاوهام التي كانت تسيطر على النفوس وشعر الرجل بقيمة نفسه وكرامتها اذ لم يعد يخضع الا لآله واحد فاطر السموات والارض وهو اله الناس أجمعين وجاز له بل وجب عليه ان يقول ما قاله ابراهيم الخليل (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ... ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين (سورة الانعام)

وبخلوص النفس البشرية من اوهامها تحررت ارادة الانسان من الروابط التي كانت تقيدها بارادة الاخرين أو بسلطات خفية مزعومة فان الرهبان والكهان وسماسرة الانقاذ وكل من كانوا يدعون لانفسهم صفة الوساطة بين المرء وربه وكانوا يزعمون ان لهم بسبب ذلك حق الهيمنة على ارادة الناس كل

هؤلاء اضطروا ان ينزلوا عن عروشهم قسراً فصار الرجل بفضل الاسلام عبداً فقط لله واحد هو العلي القدير وصار الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لاحدهم على الاخر . فقد اوصى الاسلام بالمساواة بين الناس في وقت كانت فيه الشعوب ترزح تحت نير الاختلافات الاجتماعية واصبح المسلم لا يمتاز عن اخيه بحسبه ولا بنسبه ولا باي سبب آخر خارج عن شخصه اللهم الا بتقوى الله في اعماله وبمواهبه العقلية وبما يتحلى به من الفضائل والكمالات وفي هذا يقول القرآن في سورة الحجرات (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وروي عن النبي انه قال ما معناه ان الله بفضل الاسلام قد اذل كبرياء الوثنيين واعتزازهم بالانساب والاحساب وذلك لان الناس جميعهم من نسل آدم وقد خلقه الله من تراب وان اكرمهم عند الله اكثرهم منه خوفاً وتقوى

وقد رفع الاسلام النقاب الذي اسدله الاخرون على الكتب المقدسة ليحولوا دون فهمها وانب اولئك الذين لايعرفون من امر هذه الكتب الاقراءتها وشبه الذين لم يفهموا روح التوراة ومراميها ولم يحسنوا القيام على ذلك بالحمار يحمل اسفارا ودعا كل رجل يحمل في قلبه الايمان الصحيح ان يتثقف بثقافة تؤهله لسماع كلمة الله وتفهم كتابه والوقوف على معانيه . ولهذا لم يعتمد المؤمنون على تفسير يشرح لهم آيات الذكر الحكيم شرحا دينيا تاريخيا خاصا يكون اساس جوهر تعاليمهم ومنار عقيدتهم . وليس للمسلمين مجامع مقدسة ومجالس (سينودس) خاصة تقرر لهم نصوصا تكون لهم بمثابة اصول الديانة الصحيحة ولم يعترف الاسلام لكائن من كان من اتباعه بحق الحكم على ايمان احد من اخوانه في الدين وقد جاء في سورة الحجرات « يا ايها الذين آمنوا لا

يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن »

وقد اكدت الاحاديث بنوع خاص ان قبول الايمان من المرء انما هو من حقوق الله وحده وان العبد ليس له ان يحكم على ايمان آخر وليس له ان يقول انه مقبول او غير مقبول

واذا كان اتباع المذاهب المختلفة قد اتهم بعضهم بعضاً بمخالفة الدين والمروق منه في الازمنة السالفة عندما كانت الابحاث الدينية قد تطرق اليها الفساد من جراء المجادلات العقيمة وحاولوا ان يستعينوا بالسلطات المدنية لتنزل بخصومهم اشد العقاب باثبات صحة هذه الاتهامات فانه منذ بدأ القرن الخامس للهجرة وانحل هذا الاشكال بفضل حجة الاسلام واكبر مفكريه الامام الغزالي الذي اعلن المذهب القائل بان الاجماع على العقائد الاساسية للدين هو اساس الاعتراف بايمان الناس وبان الاختلافات حول التفاصيل في الاعتقاد والمذاهب لا يمكن ان يؤدي الى المروق من الدين وقد قال ذلك الفيلسوف « يجب ان لا تنال بلسانك من الناس الذين يوجهون وجوههم شطر مكة » فهذه النظرية هي التي وضعت حداً لتلك المشاكل وبفضلها انهارت تلك الحجج الواهية وكل النصوص التي وضعت لكي تكون وحدها دون غيرها اساساً ابديا للايمان الصحيح وبذلك عاد الى الاسلام روح التسامح الذي عرف به المسلمون الاولون والذي كان مهدداً بالزوال من جراء سوء تفسير روح الدين الحق.

يقول الاسلام ان الله واحد في ذاته وصفاته لا شريك له في الملك وانه القادر على كل شيء المهيمن على جميع الخلق وهو الديان يوم يقوم الحساب وهو الذي يشمل برحمته عباده الذين يعبدونه ولا يهزأون بصوت الرشد والتذكير ولا تلهيهم تجارة ولا بيع

عن ذكر الله . وقد نزلت سور القرآن الاولى فى شكل قطع تمثيليه اخروية رائعه فالويل كل الويل لمن لم يندموا على ما اجترحوا من السيئات ولم يطلبوا من الله الرحمة والمغفرة فلهم فى الاخرة عذاب اليم والويل للامم التي قاومت الرسل والانبياء واجترأت على تكذيب ما جاءوا به من البينات اولئك سيعاقبهم الله جزاء لهم على ما كانوا يعملون وهو السميع العليم البصير وهو خالق السموات والارض والحياة والموت وهو رب العرش العظيم قد احاط بكل شيء علما بيده الخير انه على كل شيء قدير واذا اراد امراً فانما يقول له كن فيكون يفعل ما يشاء كيف شاء ولا راد لقضائه ولا مرد لحكمه وهو العزيز الحكيم وقد تجلت هذه الصفات فيما ابدع من الكائنات فبينما كل شيء لا يتم الا بمشيئته فهو مستقل عن كل ما سواه وهو غني عن العالمين لم يكن له كفواً احد واما علاقته بالمخلوقات فهى انه خالقها وموجدها واليه مرجعها ومصيرها ومع ذلك فانه حكم عدل لطيف خبير لا يغادر كبيرة ولا صغيرة الا احصاها لا تخفى عليه خافية من اعمال العبد وهو الذي يتولى جزاءه عليها ان خيراً فخير وان شراً فشر .

وفى صدد نظرية العدالة الالهية يؤكد القرآن فى غير موضع ان اعمال الانسان سواء كانت طيبة او سيئة هى مما كسبت يداه وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى . ولذلك يكون قد اتي هذه الاعمال طواعية واختياراً وهو بكامل حريته ومحض ارادته وهذا هو مفتاح الرد على مسألة حرية [illegible] التي اختلف فيها كثير من علماء المسلمين والمسيحيين وحاولوا حلها بحلول مختلف بعضها عن بعض باختلاف مذاهبهم ولكن [illegible] ن هناك من يقول بان شعور الخضوع والاستسلام الذي اختص به الاسلام فيما مضى يتناسب مع انكار حرية الانسان المطلقة وان الحسنة والسيئة والجزاء والعقاب كله من عند الله وان ارادة

الانسان لم تكن محل اعتبار فان جمهور المسلمين الآن الا انه اليوم يري في ايامنا هذه غير هذا الرأي ويقول بان لكل انسان الحرية فيما يعمل وهذا ما يؤكده ايضا الامام الشيخ محمد عبده .

لم يغلق الله الباب في وجه احد من عباده حتى الاشرار منهم بل يسر لكل القدرة والكفاية لعمل الخير واما عبارات القرآن التي يمكن ان يفهم منها ما يتعارض مع هذه الفكرة فمن السهل ان يفسرها كل من اجاد معرفة المجاز وفهم طرائقه وما يرمى اليه وما مثل الانسان في علاقاته مع الله الا كمثل مسافر منفرد قد ضل طريقه في الصحراء فاخذ يبحث عن الوسيلة التي توصله الى غرضه فمن كان اهلا لرحمة الله واحسانه بفضل ايمانه وصالح اعماله فان الله يكافئه بان يهديه الى سواء السبيل واما فاعل الشر فانه يتركه يتخبط في ضلاله دون ان يأخذ بيده وليس معنى هذا ان يكون الله هو الذي دفعه الى طريق الضلال والهلاك .

وهذا الاله القادر الشديد العقاب هو الرحمن الرحيم يكلأ عباده بعين رعايته فيحمي اليتيم ويهدي الضال ويغيث الملهوف والمكروب هو صديق الفقراء والمساكين هو السيد الجواد الكريم الغفور الرحيم وهو السميع المجيب لمن دعاه العادل الذي لا يتصوره العقل ظالما بيده الخير وهو على كل شيء قدير

وان رحمة الله لهي احدى المسائل التي تكرر ذكرها في القرآن وان تسميته بالرحمن الرحيم التي تبدأ بها كل سورة من سور القرآن لتدل دلالة واضحة على اهمية هذه المسألة كما ان الرحمة الالهية مكفولة لكل خاطىء يندم على ما فعل وباب التوبة مفتوح على مصراعيه لكل تائب ولو ان الله يصيب بعذابه من يشاء فان رحمته وسعت كل شيء وقد كتب على نفسه الرحمة (سورة الانعام)

وقد اتى الحديث الشريف بتتمة عجيبة لهذه الكلمات وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قضى الله بخلق العالم كتب في اللوح المحفوظ ان رحمتي غلبت غضبي وقال ايضا « جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وانزل في الارض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه.

هذا ومن صفات الله المقدسة الحب فقد جاء في سورة آل عمران (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) كما ومن الاحاديث المستفيضة قول النبي (ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه وما يزال عندي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وان سألني اعطيته ولئن استعاذني لاعيذنه

. . .

لا ريب في ان فكرة وجود اله واحد يتحلى باجمل صفات ويتنزه عن كل النقائص والآفات قد لا تخطر لكل ذى عقل سليم اذ من المؤكد ان هناك من يقول بانها ليست فكرة اصلية وبانها تشبه كثيراً الفكرة اليهودية والمسيحية وبان الاسلام لم يأت بشيء جديد لاظهار العلاقة بين العبد وربه ولكن ما قيمة هذا الاعتراض اذا كان محمد نفسه لم يدع انه جاء بافكار جديدة بل كان يقول في صراحة انه مرسل من عند الله ليعيد دين ابراهيم الحنيف بعد ان غيره اتباعه وبدلوه ومسخوه وحوروه ولكي يوطد تلك العقيدة القيمة النقية التي جاء بها ذلك النبي الكريم وتطرق اليها الفساد من بعده على مر الايام ولكي يكمل وهو آخر الرسل ما ارسل الله به الانبياء السابقين .

جاء الاسلام في وقت كان الناس فيه منقسمين الى فرق وطوائف دينية يحارب بعضها بعضا وتدعي كل منها انها هي المستمسكة بحبل الله وحدها وانها هي الفرقة الناجية

جاء الاسلام وصرح بان الدين واحد في كل الأزمان وان تعددت الرسل وانه كان دائما واحداً في جوهره وهو الايمان بان الله واحد أحد لا شريك له يجب على جميع الخلق ان يأتمروا باوامره وينتهوا بنواهيه وان يعملوا الخير ويجتنبوا الشر وقرر ان الاشكال المتعددة والمذاهب المختلفة التي ظهر بها هذا الدين كانت كلها من عند الله الذي شاءت رحمته بعباده ان يبعث لكل أمة دينا يفي بحاجاتها ويقبل التطور تبعا لتطورات الفكر البشري واخيراً عندما بلغت الامم درجة النضوج الفكري وأصبحت في حالة تسمح لها بتفهم التعاليم الالهية التي لا تتحدث الى الحواس والمشاعر فحسب، ولكن الى العقل والفهم وعند ذلك ظهر محمد لكي يجمع الانسانية كلها حول هذه المباديء الاساسية وليضع حداً للخلافات والمنازعات التي كانت قائمة بين أهل الكتاب من يهود ونصارى وبين للناس أجمعين طريق السعادة في الدنيا والآخرة .

• • •

أجمع المسلمون الهم الا نفر قليل على ان الايمان بالله يسبق الايمان بالانبياء والرسل لانه لا يمكن التصديق بهؤلاء والكتب المنزلة عليهم اذا كانت النفس البشرية لا تؤمن بوجود الاله وبمقدرته على ارسال الرسل وانزال الكتب لذلك كان اول واجب على الانسان ان ينظر في خلق السموات والارض ويفكر فيها حتى يصل الى الاقتناع بوجود الله فاذا ما بدأ بهذه القاعدة وواصل البحث توصل لا محالة الى الايمان بالانبياء وبالكتب السماوية المنزلة

على ان المعجزة التي تفوق كل المعجزات والتي وصلت الينا أخبارها عن مصادر غير مشكوك في صحتها هي القرآن فانه كتاب لا يستطيع انسان ان يأتي بمثله اذ ان كل عبارة من عباراته متزنة منسقة مشتملة على معان كثيرة سهلة المآخذ فلا هي كثيرة الايجاز ولا هي بالغة حد الاسهاب والاطالة ولما كان اسلوب القرآن فريداً في بابه ولم يكن له مثيل سابق في الادب العربي فانه يقع من النفس البشرية موقعاً صحيحاً لا تصنع فيه ولا افتراء ولا تمويه ولا استكراه اذ ان آياته كلها على جانب عظيم من الفصاحة حتى ما كان منها خاصاً بالاوامر والنواهي التي يجب منطقياً ان تكون باسلوب عادي مادي كما ان سير الانبياء واوصاف بدء الخلق ونهايته وان صفات وخصائص الله وصفاته كل ذلك يتكرر ذكره في هذا الكتاب العجيب باشكال وصور متعددة ولكن دون ان يفقد شيئاً من روعته ومكانته . وكذلك فان الانتقال من موضوع الى موضوع في القرآن يحصل كثيراً ولكن بغير ان ينحط التعبير عن مستواه ودون أن تقل حلاوته وكذلك فان التعمق وسلاسة التعبير وهما صفتان يندر ان تجتمعا معا قد ظهرتا متجليتين في القرآن وفيما عدا ذلك فان كل صورة من صور البلاغة تجد تطبيقها كاملا في القران فكيف اذن والحالة هذه يمكن القول بان هذا الكتاب العجيب من عمل محمد الذي لم ينظم طوال ايام حياته سوى بيت واحد من الشعر يدل على اية مقدرة شعرية وهو :

أنا النبي لا كذب : أنا ابن عبد المطلب

ولقد تحدى النبي قومه ان يأتوا بكتاب مثل القرآن او بسورة واحدة منه (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة مثله — سورة البقرة)

ومع ان الفصحاء بين العرب كانوا أكثر من رمل الصحراء فان اعداء الاسلام لم يستطيعوا ان يعارضوا النبي بشيء يشبه القرآن ولكنهم حاربوه بالسلاح ولم يجترئوا على محاربته بالكلام

وفضلا عن روعة الشكل وجمال الاسلوب اللذين اختص بهما القرآن فانه لا يشبهه كتاب آخر في مادته فاننا نقرأ فيه نبوآت بحوادث مستقبلة وقصصاً عن حوادث مجهولة وقعت منذ اجيال بعيدة كما انه حوى اشارات الى العلوم المختلفة من دينية ودنيوية واجتمعت فيه كذلك حكمة لا يستطيع ادراك كنهها اذكى الناس فهما واطول الفلاسفة باعا واعظم السياسيين حنكة

فلكل هذه الاسباب لم يكن من المعقول ان يكون هذا الكتاب من وضع رجل امي غير متعلم قضى حياته كلها بين اناس من الهمج الوثنيين بعيداً عن الاوساط العلمية ورجال الدين . رجل كان يرى نفسه كسائر الناس غير جدير بالاتيان بالمعجزات اللهم الا اذا كان ذلك بعون من الله القدير ولم يكن مثل هذا الكتاب ليصدر الا عمن وسع كرسيه السموات والارض واحاط بكل شيء علماً .

على ان هناك دليلا آخر على قدسيه القرآن وهو انه قد بقى طوال هذه القرون العديدة التي مضت منذ نزوله الى يومنا هذا دون ان تنال منه يد بتغيير ولا تبديل وسيبقى هكذا الى ما شاء الله.

هذا الكتاب يتلى ليل نهار في كل انحاء العالم الاسلامى بغير ان يسبب اي ملل او ضجر المسلم بل على العكس من ذلك فان تلاوته وتكراره مما يزيد فى حلاوته ومحبته وازدياد الاقبال عليه وانه ليوجد فى نفس قارئه وسامعه على السواء شعورا عميقا بالرهبة والاحترام وهو يحفظ عن ظهر قلب بسهولة

نادرة . وبالرغم من ضعف الايمان في هذه الايام فان فى العالم فى الوقت الحاضر ما يربو على مائة الف نسمة من حفاظه حتى ان فى بلد واحد من بلاد القطر المصري يوجد من حفظة القرآن عدد يفوق كثيراً من يجيدون معرفة الانجيل فى اوروبا كلها . فانتشار الاسلام اذن بهذه السرعة لم يكن بحد السيف ولا هو من عمل المبشرين والحاحهم ولجاجتهم وانما كان ذلك راجعا الى ان القرآن الذي كان يتقدم به المسلمون الى الشعوب المغلوبة ويتركون لهم الحرية في الايمان به اذا شاءوا انما كان كتاب الله وكلامه الحق وكان هذا الكتاب اكبر معجزة قدمها محمد للمرتابين فى امر هذا الدين او المنحرفين عنه .

هناك معتقدات سلم المسلمون بها نظراً لاجماع السلف على صحتها وهذه المعتقدات مضافة الى العقيده الاصلية التى تنص على التصديق بوحدانية الله وبرسالة محمد ليس من شأنها ان تقف حائلا دون العلم الحديث او تتعارض مع الحقائق الفلسفية . فالقرآن وان كان قد اشار الى حالة الكون الاولى ونشأته (او لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حيا — سورة الانبياء) فانه لم يقيد الفكر البشري بل ترك له الحرية فى مواصلة السير في طريقه مطلقاً من كل القيود اما في صدد القوانين الطبيعية فقد اقتصر القرآن على القول بان الله قد قدر نظما للكائنات الثابتة وبينما فرضت الديانات الاخرى على اتباعها مجموعة ضخمة من المعتقدات العسرة الفهم فان الاسلام قد تجلت فيه البساطة والنورانية وكان ذلك مدعاة لسرعة انتشاره في أيام الفتح الاولى بين الشعوب التي كانت في اضطراب نفساني عميق نظراً لما كان يساور نفوسها من الشكوك في عقائدها الدينية وهذا هو نفس السبب فى استمرار انتشاره فى هذه الايام بين ابناء الامم غير المتمدنة

فى آسيا وافريقيا اذ انه نجح في التغلغل فى نفوسهم الساذجة وعقولهم الفطرية بدون حاجة الى اطالة شرح وتفسير ولا الى تلقين المبشرين .

الفصل الثالث

حكمة شعائر الاسلام الدينية

بني الاسلام على قواعد خمس اولاها شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ثم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

هذه القواعد لا يصح لنا الحكم عليها بحسب ظاهرها والا كان مثلنا كمثل من ينظر الى الاصداف ولا يلحظ انها مليئة باللآلي الثمينة بل يجب النظر الى صميمها والبحث في جوهرها لاكتشاف ذلك السر الذي تسمو به نفوس المؤمنين وتتطهر من الخبائث والارجاس ومن ثم يتضح ان هذه القواعد توجه الناس جميعاً الى غرض مزدوج هو تقديس العباد لخالقهم وشكرهم له على ما اولاهم من النعم

عندما تدعوهم كلمات المؤذن الى القيام بواجبهم الديني الاول وهو الصلاة فانهم يذكرون الله جميعا بلا استثناء ويذرون اعمالهم الخاصة ومشاغلهم الدنيوية ويقبلون على اداء هذا الفرض فيبدأون بالتسبيح لله ويختتمون صلاتهم بالتحيات التي يوجهونها اليه ويشعرون في اثناء ذلك انهم ماثلون بين يديه وعندما يضعون جباههم على الارض انما يظهرون شعورهم بالخضوع المطلق للقوة الالهية ولكل كلمة وحركة في الصلاة عند المسلمين معنى خاص ليس من الصعب على العقل البشري ادراكه ولا يسمح لنا المقام هنا ابانة هذه الاسرار والافاضة في شرحها

ولكننا نكتفي بالقول بان الدقة والنظام فى حركات الصلاة وما يصحبها من العبارات من شأنها ان تمنع المؤمن من ان يضل فى مجاهل المادة وتترك له الحرية في اظهار شكره واخلاصه لربه كما ان ضرورة التوجه في الصلاة شطر مكة من شأنها ان تحفظ في قلوب المسلمين ذكرى ذلك المكان المقدس الذي اشرقت فيه انوار الايمان وان تعين للمسلمين المركز الذى تتجه نحوه فى كل وقت مشاعرهم المجمعة على عبادة اله واحد

وقد تكلم القرآن عن قيمة الصلاة كوسيلة لسمو الخلق وتطهير القلب «اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون ـــ سورة العنكبوت »

على ان اهم شيء عند الله ليس هو ظاهر العبادة بل الاخلاص فيها وقد اوضح القرآن هذه الفكرة بجلاء فى سورة الحج « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » وهناك كثير من الاحاديث التي تؤكد هذا التقدير الالهي للمخلصين ومنها ما معناه ان صلاة تقام في مسجد المدينة لهي خير من الف صلاة الا ما كان في مسجد مكة لان الصلاه التي تقام فيه تساوي الصلاة التى تقام فى غيره مائة الف مره على ان الصلاة التي يقيمها المرء فى بيته خير من ذلك كله حيث لا يراه احد سوى الله ولا يقصد منها غير وجه الله

وليس من الضروري ان يؤدي المسلم صلاته في معبد لان اي مكان من الارض تحت سماء الله على شرط طهارته يصلح للصلاة فيه وليست هناك من حاجة الى قساوسة او قرابين او احتفالات دينية لسمو بقلب الرجل المشتاق الى مقام خالقه الكبير المتعال

غير ان هناك شرطا ضروريا لا بد من توفره لكى تكون الصلاة صحيحة

وهو طهارة البدن التي تعني طهارة النفس والملبس والمكان وقد اقر الاسلام العادة القديمة النافعة وهي الوضوء واستن لها النبي نظما دقيقة كنظم الصلاة ونظراً لان القرآن لم يضع تفصيلات خاصة عن كيفيتها فان كاتباً كبيراً من كتاب المسلمين هو امير علي استطاع اليوم ان يتمسك بالبساطة العجيبة لهذه العبادة بغية الوصول الى اعلى درجات الروحانية

أما صلاة الجمعة التي تشتمل على خطبة وعظية وعلى صلاة الجماعة فلها فوائدها اذ بتقريبها بين المسلمين في مجتمع واحد يتجلى فيه خشوعهم وخضوعهم لله تجعلهم يشعرون جميعا بانهم اخوان وبانهم كلهم عبيد لله ولما كان من شأنها ان تلزم المصلين بان يتبعوا جميعا امامهم في حركاته وسكناته فانها تعودهم الطاعة والنظام وبالخطبة تفتح قلوبهم لتلقي العبرة والموعظة الحسنة .

اما فريضة الصوم التي تشمل الامتناع عن الطعام والشراب والتدخين والجماع في ساعات النهار طوال ايام شهر رمضان فانها مدرسة النظام والرحمة والاحسان لانها لما كانت تجبر المسلم على الامتناع عن التمتع بكل لذات الجسد في فترة محدودة فانها تعلمه كيف يكبح شهواته ولما كانت تذيقه آلام الجوع ومتاعبه فانها تبعث في قلبه الرحمة والشفقة بالفقراء والمساكين ولما كانت تجعله اكثر استعدادا لتقدير ما ملكت يداه من النعم فانها تحمله على الاكثار من شكر الاله المنعم .

واذا كان الصوم واجبا على الرجال الاقوياء الاصحاء فقد اعفى منه الضعيف والمريض والمسافر والمجاهد في سبيل الله والمرأة الحائض لان الله لا يريد ان يرهق عباده المؤمنين ولا ان يكلفهم بما هو فوق طاقتهم .

اما الزكاة فقد اعترفت كل الديانات بفضائلها الادبية والاجتماعية واكدت

انها وسيلة لنيل الخير من الله ولكن للاسلام وحده كل الفخر بان جعلهافرض عين لازم الاداء ووضع تعاليم المسيح بصددها في صيغة اوامر واجبة الاتباع اذ فرض على كل مسلم ان يساعد بجزء معلوم من ثروته على اسعاف الفقراء والمدينين المفلسين والمسافرين والغرباء وابن السبيل وغيرهم وفى قيام المسلم بهذا الواجب المقدس ما يقوي فى قلبه الشعور الانساني ويطهر نفسه من الشح والبخل ويغرس في قلبه الامل في نوال الأجر والمثوبة من الله .

اما الاغراض الخفية في الامر الواجب على كل مسلم توفرت فيه شروط معينة بان يؤدي فريضة الحج ولو مرة واحدة في حياته كان لهذه الاغراض أسرارا لا يتأتى للعقل البشري ادراك كنهها ولكن اكثرها قريبا للفهم قد دل على حكمة بالغة وليس لاحد ان يتجاهل الفائدة التى تعود على الاسلام من اجتماع المسلمين الذين يفدون الى مكان واحد من جميع انحاء العالم من عرب وفرس وافغان وهنود وجاويين ومغاربةوسودانيين ومصريين وغيرهم الى هذا المعبد المقدس بقصد الحصول على الرحمة والمغفرة من ربهم . ولما كان اجتماعهم هذا من شأنه ان يجعلهم يتعارفون فانهم بذلك يرتبطون بروابط المودة والاخاء ويكفي ذلك المظهر الذي يرى فيه المسلم ولو مرة واحدة في حياته زوال الفوارق بين الغني والفقير وبين السائل والأمير اذ أن المسلمين اثناء الحج يرتدون كلهم ثيابا بسيطة من نوع واحد فيتجردون من حليهم وزخارفهم ويهتفون جميعاً بكلمة واحدة هي « الله اكبر » وكل ما يقوم به الحاج من الشعائر هو الطواف حول بيت الله والاجتماع في جبل عرفات والتضحية فى منى وهذه الشعائر تحيي في نفسه ذكرى الانبياء والاولياء الذين وفدوا الى هذا المكان المقدس وتجدد له ذكرى ابراهيم الخليل وولده اسماعيل وامرأته هاجر وتبعث فى نفسه الرغبة

في الاقتداء بهم في التقوى والخضوع لمشيئة الله .

وان الحكمة الالهية لتتجلى ايضاً في الناحية التي نعتبرها سلبية في القواعد الخاصة بالحج وهي التي تحرز الشرائط اللازم توفرها في الشخص لكي تجب عليه فريضة الحج شرعا هذة الشرائط هي ان يكون حرا ورشيدا وقادرا على مصاريف الحج وعلى تكاليف أسرته اثناء غيابه وان يكون الطريق مأمونا وقصارى القول ان الله لم يفرض على العبد القيام بعبادات منهكة لقواه وفوق طاقته ولم يضع لاية واحدة من هذه العبادات قواعد شاقة عسره (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر — سوره البقره) وقوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون — سوره المائده) وقوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها — سوره البقره) وقوله (يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا — سوره النساء)

وفي معنى هذه الآيات البينات قول النبي (ان هذا الدين يسر)

الفصل الرابع

سمو الآداب الاسلامية واثرها

أراد بعض الكتاب الغربيين ان يحط من قيمة آداب الدين الاسلامي فاتهموها بانها مذلة النفس البشرية نظراً لتشبعها بروح الطاعة والخضوع المطلق للالوهية كما يدل على ذلك اسم الاسلام نفسه وقالوا ن الرجل الذي يشعر بعبوديته لله ويسلم له كل الاستسلام لا يمكنه ان يشعر بانه حر فيما يأتيه من الاعمال الصالحة ولا يكون في حالة من يحس بانه أمام الله سيد مطلق الحرية والارادة والضمير . وقبل ان نتحدث عن الافكار اللاهوتية السامية التي تنتعش بها نفوس اتباع محمد نرى من واجبنا ان نرد على ذلك الاتهام بكلمات ... هو العلامة جولدزيهر الذي يقول : ان قوة اعتقاد المسلم بخضوعه ... ثابت وايمانه برفعة الكائن الاول ليست بمانعة له من التقرب الى الله بالفضيلة والايمان والعمل الصالح ومن الطمع في رضوانه والدخول في رحمته ومتى ... لديانات اي تأثير في قلب عبد صالح ثلج الضمير معمور ... بالايمان مقر بالعجز والانكسار لخولته عن التطلم بكل خشوع وخضوع الى معدن كل قوة وينبوع كل كمال ؟...

ليس من شأن الاسلام فقط انه لا يحول دون الوصول الى الكمال الخلقي ولكنه في ذاته قوة فعالة موجهة نحو الخير ولا يقل في ذلك عن بقية الديانات الاخرى المقرة بالوحدانية والتي اعترف محمد بان انبياءها هم اساتذته ومعلموه

على ان الاسلام قد يكون من بعض الوجوه اوفر منها قسطا في هـذا السبيل لانه وقد قدر الضعف الانساني حق قدره دعا المؤمنين الى اتباع مثل من المكن اتباعها وبذلك نجح اكثر من تلك الديانات في الوصول الى غرضه من تهذيب النفوس والسمو بها الى ذروة الكمال القدسي فالفضائل التي حثت عليها الديانتان الاسرائيلية والمسيحية وجعلتاها حداً أقصى لسمو الخلق لم يهملها الاسلام بل امر باتباعها كالرحمة والاحسان والصفح والغفران ودماثة الخلق والامانة في المعاملة والصبر على احتمال المكاره وما الى ذلك .

ولقد اشتمل القرآن على كثير من الآيات التي تحض على فعل الخير وفي استطاعتنا ان نغترف منها بملء ايدينا ولكن لما كنا لا نرغب في التوسع والاسهاب في هذا الباب فسنكتفي بذكر بعض منها كقول الله تعالى في سورة البلد (وما ادراك ما العقبة فك رقبة اواطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة) وكقوله في سورة الليل (فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الاشقى الذي كذب وتولى وسيتجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى) وقوله في سورة الانسان (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءا ولا شكورا) وقوله في سورة آل عمران (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضهاالسموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقوله في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام

الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) وقوله في سورة المائدة (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) .

وكما ان الاسلام قد اكثر من اطراء الرحمة وتزكيتها فانه قد اشاد كذلك باعمال البر والاحسان التي هي ثمرة من ثمار رحمة الانسان باخيه الانسان كما دافع في كثير من الشفقة والحنان عن اليتيم والمسكين والذليل والمنكوب وجعل الاخاء والاحسان اساسا لبناء الهيئة الاجتماعية والانسانية ولعمري ان هذا لتقدم كبير اذ لو قارنا العصور الاسلامية بالعصور الوثنية لوجدنا بونا شاسعا وفرقا هائلا بينهما لان في العصور الوثنية بشهادة الكثير من آي القرآن كان الحكام يدفعهم الكبرياء والطمع الى احتقار الفقراء وظلمهم وكانت اهواؤهم وشهواتهم متحكمة باعمالهم وكانوا لا يأبهون بابسط واجبات الرعاية نحو رعاياهم ونكتفي بذكر آيتين اثنتين من بين آي القرآن الكثيرة التي نزلت في الحض على اقامة قسطاس العدل والانصاف (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ... سورة ص) و (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ...... سورة النساء) وفي استطاعة كل انسان ان يقدر الشعور الانساني العميق الذي يتجلى في هذه الاية (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ..سورة الاسراء)

هذا ولم يخل القرآن من ذكريات الايات التي تذكرنا بتعاليم الانجيل التي

تعتبر عند المسيحيين من اسمى واثمن الوصايا الاخلاقية في دينهم ومن هـذه الايات (ادفع بالتي هي احسن ... سورة المؤمنين) وفي مقدورنا ان نوالي سرد المبادىء الاسلامية القويمة وان نفيض في الكلام عنها ولكنا نجتزىء بذكر احد هذه المبادىء وورد ذكره في القرآن اكثر من مرة وهو اشد اثرا في نفس المؤمن واكثر دفعا لها الى فعل الخير الا وهو المبدأ القائل بان الحياة الدنيا ان هي الا نواة للحياة الاخرى وان العمل الطيب في هذه الدنيا يضمن السعادة الابدية في الاخرة وان لا سبيل للتقرب الى الله الا بطهارة القلب والاخلاص في العمل وان كل انسان مجزى عما فعل ان خيرا فخيرا وان شرا فشر كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٠٠ سورة الزلزلة) وقوله (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ٠٠ سورة النساء) ٠ كما انه قد توعد الاشرار بعذاب اليم في آيات تتلظى في خلال حروفها واما الصالحون الابرار فان الله الحكم العدل سيبعثهم من مراقدهم مرة اخرى ويشملهم بعدله واحسانه واما الاشرار والفجار الذين اعرضوا عن النبي ولم يستجيبو لدعائه فسيعذبهم الله عذابا شديدا ويلقى بهم في نار جهنم ٠

ونرى هنا من المناسب ان نرد على تهمة وجهها الكافرون الى الاسلام وهي انه وعد اتباعه بجنة قوامها اللذات والشهوات الجسدية من حور عين وولدان مخلدين وانهار من لبن وعسل مصفى لذة الشاربين ومن فواكه وثمار يانعة الى غير ذلك من اللذائذ المادية ولم يفهموا ان ابناء الصحراء لا يمكن ان يوعدوا بلذائذ روحية يستعصى عليهم ادراكها ولذلك كان من الضروري ان توصف لهم الجنة ونعيمها وصفا ملموسا في بعض عبارات بسيطة حتى اذا ما

تطورت النفوس والافهام بعد ذلك امكن التحدث عن عبادة الله بالخضوع لقدرته والمحبة لذاته ولهذا كان من الافتراء القول بان محمدا واتباعه قصدوا الى معاني هذه الاوصاف بالذات لأنهم هم باعيانهم قد اكتشفوا ان هذه الاوصاف أحسن وقعا واعمق اثراً في تلك النفوس

ويرى الامام الغزالي ان احسن اللذات هي في تجلي النفس في الحضرة الالهية عندما يزاح الستار الذي يفصل بين العبد وربه عندما تتجلى العظمة الالهية في كامل بهائها وبهجتها . وتعزيزا لفكرة لذائذ الجنة يروون عن النبي انه قال ما معناه : ان اكرم الناس عند الله هم الذين تتجلى لهم عظمته آناء الليل واطراف النهار فيتمتعون بلذة تفوق كل ملذات الجسد

ولكن ما هو ذلك المعيار الذي سيزن به الله اعمال عباده هل سينظر الى مظهرها الخارجي ونتائجها كلا فان القران يقول في صراحة ان الله ينظر الى نية العبد التي بنيت عليها تلك الاعمال والتي تتخذ مقياسا للحكم عليها وان العمل الذي يتم طبقا للشريعة لا تكون له قيمة كبيرة عند الله اذا لم يكن مقرونا بالاحسان وصفاء النية لان الانانية والرياء يفسدان كل عمل صالح وقد لوحظت هذه الفكرة نفسها عند الكلام على شكلية اقامة العبادات وسنراها هنا ثانية في تقدير اعمال الانسان لان العبادة يجب ان يراعى فيها الاخلاص (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ... سورة البينة) كما ان قلب الانسان يجب ان يكون سليما (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ... سورة الشعراء) و (قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ... سورة سبأ)

اما الكبرياء والنفاق فقد شدد الاسلام النكير عليهما الى حد اعتبارهما صورة

من صور الاشراك بالله ويرى بعض الكتاب ان من اجتمعت فيه هاتان الرذيلتان انما يحاول ان يشارك الله فى صفة عظمته بغية الحصول على احترام الناس له وتعظيمهم لقدره

وللاسلام الفضل في تفسير مسألة طالما تحيرت الالباب في فهمها وادراك السر فيها وهى لماذا يرى في هذا العالم اناس من الاشرار والكفرة يتمتعون بالثروة والجاه ويحرمها غالبا المخلصون الابرار الذين كثيراً ما يستهدفون للمصائب والويلات . يقول الاسلام حلا لهذه المعضلة ان الله يمهل العصاة والظالمين ويمد لهم في اسباب طغيانهم وربما تركهم وشأنهم طول حياتهم ولكنهم سوف يلقون جزاء ما قدمت ايديهم يوم يقوم الحساب واما عباده المخلصون الذين ابتلاهم بالمصائب فى هذه الدنيا فسيكافئهم في الدار الاخرة على صبرهم ورضاهم باحكامه وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون... سوره البقره)

على ان اجمل تعريف للرحمة والاحسان والقواعد الخلقية السامية قد تضمنتها الاحاديث النبوية اذ ان المعلوم ان كثيراً من ايات القران قد تم تفسيرها بتلك الاحاديث وكانت غير كافية بذاتها لتنظيم الحياة الانسانية بما يرافقها من عوارض وملابسات فلاقت ماينميها في طائفة من الاحاديث النبوية ولا يهمنا كثيراً ان يكون بعض هذه الاحاديث مشكوكا في صحتها لانها اذا لم تكن صادرة عن محمد نفسه فانها تمثل نفسية الامة الاسلامية القديمة التي افرغت فيها روح الاسلام الحي ولانها تشير الى عادات هذه الامة وافكارها وامالها ويستطيع القارىء ان يلحظ جمال هذه الاحاديث التالية وهى « الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله او كالذي يصوم النهار ويصوم الليل ومن

وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة ولكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة محبة الصغار والفقراء ولا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه »

ولعل اظرف شيء في هذا الموضوع ما حكي عن رجل اعتنق الاسلام في زمن النبي انه قال وعظني النبي بسبعة اشياء اولها ان احب الفقراء واتقرب اليهم . (٢) انظر الى من هم دونك ولا تتطلع الى من هم اعلى منك (٣) استغن عن الناس (٤) اخلص لاهلك ولو خاصموك (٥) قل الحق دائما ولو كان مرا (٦) لا تأخذك في الله لومة لائم (٧) قل دائما لا حول ولا قوة الا بالله لانها كنز من كنوز الجنة

ولما ادخلت الاراء الصوفية فيما بعد على الديانة الاسلامية ووضع امام النفس البشرية مثل اعلى للحياة يقول بان كمال الرجل وسعادته يتوقفان على المجهود الذي يبذله في تكميل نفسه وتجميلها بصفات الله والتحلي بجوهر حقيقتها وفي الاحاديث تتجلى الحكمة التالية وهي من فضائل الاسلام الخاصة وتبين ان رحمة الله ليست وقفا على الناس دون سائر المخلوقات اذ روى عن النبي انه قال (اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض واذا سافرتم في السنة فاسرعوا عليها السير واذا اعرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فانها مأوى الهوام) وقال من لا يرحم لا يرحم وقال والشاة ان رحمتها يرحمك الله

واذا كان الاسلام قد بين لبني الانسان سبيل الفضيلة بطريق القرآن والسنة فانه قد راعى حاجات الطبيعة الانسانية ولم ينس ضعف الانسان عندما فرض عليه العبادة واذ رسم للرجل كمالا خلقيا وحثه على بلوغه والتخلق به فانه لم يتجاوز حد الحقيقة والامكان ولم يطلب اليه حتى التحلي بفضيلة لا يتيسر

ادراكها الا لنفر قليل من الذين اصطفاهم بل وضع مبادىء طيبة للحياة تتضح مزاياها العملية العجيبة عند تطبيقها .

واذا رسم الانسان امثلة الامانة والاستقامة فانه لم يبتعد عن قوانين الحياة ولم يخالف الطباع البشرية التى احل لها التمتع بالفذائذ المشروعه ولم يفصل بين حياة المرء الدينية وبين بقية العالم وانما قصد الى ايجاد هيئة اجتماعية يكون الفرد فيها عضوا عاملا وخادما لله فى وقت معا .

ويرى الاسلام ان استخدام المرء القدرة التي وهبها له الله في القيام باعباء الحياة يعتبر من قبيل الشكر والامتنان لله على هذه الهبة كما ان التمتع بما في الحياة من النعم التى اوجدها الله لعباده كافة ليس في الاسلام بالامر المسموح به فحسب بل هو واجب محتم على العبد ما لم يكن فى هذا التمتع ما يضر به او بغيره من الناس وقد قال تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين — سورة المائدة) وقوله) قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) — (صوره الاعراف) وفي الحديث خاصة ما يدعم مبادىء الحياة الصحيحة ونحن نكرر هنا ما سبق ان قلناه بصدد الاحاديث التي تعبر عن اسمى الافكار الخلقيه ولا يعنينا اذا كان بعض الناس قد طعن فى صحة هذه الاحاديث اذ ان اغلبية العالم الاسلامي اصبحت في زماننا هـذا تعتقد بصحتها والتمسك بما اشتملت عليه من المبادىء ومن بين هذه الاحاديث ما يقول(لا رهبانية فى الاسلام)

وفى الواقع ليس مما يسر الاسلام في شىء ارهاق النفس بالزهد والتقشف

واضناء الجسد ولا مداومة الصوم ولا القيام عامة الليل ولا حياة العزوبة ولكن يعجبه ان يعيش الانسان معيشة وسطا فيؤدي واجبه نحو ربه من جهة ومن جهة أخرى لا يهمل واجباته نحو بدنه واسرته ونحو الهيئه الاجتماعية التي يعيش فيها وقد ورد في الحديث قول النبي (ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك اخرته لدنياه حتي يصيب منهما جميعا فان الدنيا بلاغ الى الاخره ولا تكونوا كلا على الناس) وبلغ النبي ان نفراً من الصحابة منهم عبد الله ابن عمرو وعثمان بن مظعون وآخرين قد نذروا على انفسهم صوم النهار وقيام الليل وهجر والطايب الحياه بما فيها النساء فخاطب النبي عبدالله : الم اخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل ولا تأكل اللحم ولا تقرب النساء ؟ قال بلى قال لا تفعل انني اصوم وافطر وانام واقوم واقرب النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني . وقد نزلت الاية بهذا المعنى : (يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وسأل احدهم النبي هل يتصدق بشطر ماله فقال لا الثلث والثلث كثير انك أن تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس اما الرهبانية فقد اشتد الاسلام فى الحملة عليها واستنكارها لانها تنافي السنة وقد روي عن النبي انه قال النكاح سنة من رغب عن سنتى فقد رغب عنى

اما الشرائط القليلة التي اشترطها الاسلام للحياة فتدل على حكمة بالغــة وها نحن اولاء نجد اليوم فى الغرب صراعا عنيفاً حول تحريم الخمر كما نرى القيود التي وضعتها الحكومات المختلفة لابطال الميسر فهل هناك من يجترىء على ان يلوم الاسلام على اغلاقه هذين البابين اللذين هما مــن ابواب الشر والضرر بالثروة والاخلاق . واما الاقتصاد فانه من الفضائل التى حث الاسلام على اتباعها وليس الامر قاصراً على ذلك فاننا نرى فى القرآن الى جانب تحريم الميسر

حملات صادقة على كسب المال من طريق الرباء فيالها من حكمة المية تلك التي حرمت اكتساب الاموال من طرق غير مشروعة

ان الناس لتتلهف على دين يتفق وحاجاتهم ومصالحهم الدنيوية ولا يكون قاصراً على ارضاء مشاعرهم واحساساتهم ويريدون ان يكون هذا الدين وسيلة لامنهم وطمأنينتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وليس هناك من دين تتوفر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سوى دين الاسلام اذ انه ليس مجرد دين فحسب بل ان فيه حياة الناس لانـه يعلمهم كيف يحسنون التفكير والكلام ويحضهم على فعل الخير وصالح الاعمال ولذلك سرعان ما شق طريقه الى القلوب والافهام .

الفصل الخامس

الاسلام والمدنية

ان دينا لا يقتصر على كونه نظرية تتفق واماني الطبائع البشرية ولا على كونه مجموعة من القواعد الساميه والتعاليم الرفيعة التي يمكن اولا تطبيقها بل يمتاز الى جانب ذلك بان يكون دستوراً للحياة يضع فصول الاخلاق على اساس قياسي وضعي . ويعين بمقتضاها واجبات الانسان نحو نفسه ونحو غيره وفقاً لقواعد صريحة قابلة للتطور ولتقدم الافكار باوسع معاني لتقدم ويعد لكل قانون من قوانينه هذه جزاء الميا عادلا ، — لهو دين يستحق منا كل اعجاب وتقدير واجلال وذلك بفضل ماله من جليل الاثر في تهذيب الناس ولا سيما الجهال وغير المثقفين الذين ليس للعبارات المنطقية والمواعظ الاخلاقية في نفوسهم كبير اثر اللهم الا اذا كانت مفرغة في صيغ الاوامر والنواهي ومشفوعة بما يقابلها من وعد او وعيد

هذا هو الاسلام الذي قدران النفس البشرية احوج الى الانقياد للسلطة منها الى المواعظ والمباديء التي ليس من السهل ادراكها وتحدث الى الناس في صيغة الامر من لدن السلطة العلية المطلقة وكان هذا سراً من اسرار نجاحه واتساع سلطانه فقد اقام في بلاد العرب دولة فتية قوية متحدة على اسس خلقية ثابتة بعد ان كانت فكرة الدولة كوظيفة عامة مجهولة من العرب كل الجهل وبعد ان كانت الفوضى ضاربة بينهم اطنابها والهمجية سائدة في ربوعهم

بحيث لم تكن السرقة والقتل جريمتين معاقبا عليهما اللهم الا اذا كانت اسرة القتيل عندها من القوة والمقدرة ما يمكنها من الاخذ بثأر قتيلها. ولم يتسن هذا للاسلام الا لانه كان دينا وقانونا في وقت معاً

ليست الشريعة ذات صبغة دينية فحسب وانما عنيت الى جانب ذلك بوضع نظم وقوانين لظروف الحياة الخاصة والحياة العامة تمثلت فيها كل فروع الحياة التشريعية

ونظراً لان الايات القرآنية القليلة التى تناولت التشريع جاءت في صيغة عامة ولان السنة التى هى تفسير واسع للقرآن لم تكن كافية لحل كل مشاكل الحياة المختلفة كان المشرعين عندما ارادوا وضع القوانين لهذه الحالات المتعددة لم يروا بدأ من ان يبنوا في العالم الاسلامي ذلك المبدأ القائل ان اجماع المسلمين او بالاحرى علمائهم الموثوق بعلمهم هو حكم صحيح يجب اتباعه والاخذ به وقد قال النبي(لا تجمع امتى على ضلالة) فكل ما قال الاجماع بصحته وعدله يجب ان يكون صحيحا وعدلا وما اجدر قاعده وضعت على اساس اتفاق كهذا ان واجبة محتومة

وكما ان ذلك الاجماع كان مفتاح العقد لتطور الاسلام التاريخى فانه يكون كذلك سببا في تطوره فى المستقبل وتقوية دعائمه كما سمح لنفائس الحكم التي اشتملت عليها قوانين الامم الاخرى فيما لا يتعارض مع القرآن بان تندمج فى الشريعة الاسلامية ونرى ان هذا الاجماع سوف يتغلب على الفتور الذي اصاب العالم الاسلامى في العهد الاخير (على ان بشائر نهضة المسلمين قد اخذت فى الظهور) وسيكون هو العامل الذي سيسمح للاسلام بالانتعاش مرة ثانية والقيام بحاجات العصور الحديثه .

بفضل هذا الاجماع تيسر للشريعة الاسلامية ان تزود بالقوانين التى كانت موجودة عند كثير من الامم الاخرى قبل الرسالة المحمدية ولما كان لهذه القوانين قيمة لايمكن انكارها فاننا ان نهمل الاشارة اليها كما اننا لن نتردد في ذكر محامد القوانين التى اوجدتها الشريعة الاسلامية والتى لم يجرؤ احد على انكار فضلها وسننتقل على اثر ذلك الى بحث النظم الاجتماعية والاوامر الخاصة بالاسلام والى الدفاع عنه ضد ما وجه اليه من الحملات من غير المسلمين .

وضع القران قليلا من القواعد في صيغة النصوص القانونية وترك لاتباعه الحرية في ان يضعوا لانفسهم النظم التي تتفق مع زمانهم واحوال بلادهم فيما فذلك من برهان على رحمة الله وعظيم لطفه بعباده .

وقد وضع تدابير محكمة لتحديد الزواج بان قرر ان لا يقترن الانسان بامرأة تربطه بها اضيق روابط القرابة او المصاهرة وهذا ما لا اعتراض عليه من جانب غير المسلمين ولكن الامر الذي تقوم اليوم ضجة كبيرة حوله هو تعدد الزوجات الذي اباحه القران بشروط معينة ونحن وان كان في استطاعتنا ان نتحدى هؤلاء المعترضين الذين لم يظهروا باي شكل من الاشكال ما هو ذلك الخطر الاجتماعى الجسيم ولا ما هى العراقيل التي يضعها تعدد الزوجات في سبيل التقدم الا اننا لا نريد مطلقا ان ننقل المناقشة الى هذا الميدان ونكتفي بان نلفت انظارهم الى ان في بعض فترات التقدم الاجتماعي ظهرت حالات خاصة نذكر منها على سبيل المثال خسائر كبيره في الرجال تقع على اثر حرب من الحروب افلا يكون تعدد الزوجات والحالة هذه امرا ضروريا لا محيد عنه ولماذا لا ننظر الى تعدد الزوجات الا بالعين التى تراه بها العصور المتأخره مع

ان تمدد الزوجات لم يكن معترفا به من العرب فحسب بل ومن الشعوب الاخرى وان القانون الاسلامى الذي يلوح اليوم انه كان اوسع في هذا الميدان واكثر تساهلا من غيره قد وضع له حدوداً وقيوداً ضيقة بعد ان كان حقا سائغاً لكل احد بغير قيد ولا شرط وحرم عدة صور من الزواج كان الاجدر بها ان تسمى بالزنا القانوني كالزواج .. ..رط معين او زواج المتعة كما منح الزوجة حقوقا عظيمة لم تكن تعرفها من قبل — كل هذا نستطيع ان نبينه بمنتهى السهولة اذا لم نكن مضطرين لان نقدم لقارىء جانبا آخر للموضوع يخيل الينا انه اهم من ذلك بكثير

أحل القرآن للرجل ان يتزوج مثنى وثلاث ورباع ولكنه وضع شرطا ضروريا لمثل هذا الزواج وهو عدالة الزوج الكاملة بين نسائه على ان كلمة العدالة هنا لم يقصد منها المساواة في المعاملة المادية فحسب ولكنها تنصرف كذلك الى المحبة والميل اليهن اذ قال « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » وعقب على هذه التعاليم بالجزم بان مثل هذه العدالة ضرب من المحال حيث قال « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم — سورة النساء »

يستنتج من ذلك منطقياً ان تمدد الزوجات وان كان قد ابيح صراحة الا انه قد منع اشد المنع ضمناً وذلك لصعوبة القيام بالشروط المطلوب توفرها ويقول الزهراوي وامير علي وغيرهما ان هذه الاية تتضمن المنع الصريح هذا ولا يجب القول استناداً الى حالة الرسول الخاصة لان تمدد الزوجات امر مقبول عند الله فشتان ما بين الرسول وما بين غيره من الناس نظراً لما اختصه الله به من العدل والانصاف .

اما أعداء الاسلام فقد ارادوا ان يظهروا النبي في صورة رجل شهواني اباحي بان اتخذوا من زيجاته المتعدده حجة لاتهامه بضعف خلق لا يتفق ومركز النبوه ولكن فاتهم امر هام لم يحسبوا له حسابا وهو ان النبي أيام فتوته وعنفوان شبابه لم يتزوج الا من امرأة واحده وهي السيده خديجة التي كانت أسن منه بكثير واحتفظ لها في اثناء الخمس والعشرين سنة التي عاشرها فيها بكل محبة واخلاص ولم يتزوج من غيرها حتى ماتت مع انه كان يعيش بين قوم سادت فيهم كثره الطلاق والزواج وكان يندر ان يقتصر الرجل منهم على زوجة واحده . ولما فقدها وكانت سنه حين ذاك خمسين سنة تزوج من أخرى كما عقد زيجاته المختلفة التي كانت في أغلب الاحيان لدواع اجتماعية او سياسية لانه كان يريد بهذه الطريقة ان يكتسب الى صفه رجالا اتقياء او نساء تقيات ويرتبط بروابط المصاهره بأسر قوية من القبائل المختلفة وكان كل ذلك بقصد نشر الاسلام . فكان يتزوج احيانا من نساء لسن على جانب كبير من الجمال او لسن أصغر منه سنا فهل يمكن القول مع ذلك بان مثل هذا الزواج كان عن هوى او شهوة .

ولقد كان مدفوعا ايضا على زيجات مختلفة (لانه كان رجلا ولم يكن الها) برغبته في الحصول على ابناء لان كل ابنائه الذكور الذين رزقهم من خديجة ومارية القبطية كانوا قد ماتوا عن آخرهم فاخذ على نفسه حينئذ عبء القيام على اسرة متعددة الافراد رغم قلة موارده ولكنه كان دائما يراعي العدالة التامة بين جميع نسائه ولم يستعمل ضد احداهن ما هو مخول له ولغيره من حق الطلاق ومع هذا فانه لم يخرج عن سنة الانبياء السابقين موسى وداود وغيرهم الذين لم ينكر احد في ان يأخذ عليهم تعدد زوجاتهم فهل كان ذلك لانه تنقصنا عن حياتهم اليومية تلك الانباء الخاصة التي ترينا عن كثب اعمال محمد ومشاعره في اخص

خالاته العائلية .

ومما يؤسف له كل الاسف ان الناس لم يلتفتوا فيما مضى الى الشطر الثاني من تلك الآية القرآنية التى تدعو صراحة الى الاقتصار على زوجة واحده واخذوا بالشق الاول وحده الذي كان يسمح لهم باشباع شهواتهم واهوائهم واستغلوا المنحة التي منحت لهم دون ان يفكروا في تفسير الاية القرانية كما يجب ومع ذلك فقد اخذ تعدد الزوجات يتلاشى تقريبا في العالم الاسلامى وعلى الاخص في تلك البلاد التى ازدهرت فيها المدنية وسادت فيها ارق المشاعر الاخلاقية

* * *

وقد اباح القرآن الطلاق وها هو ذا العالم الغربي قد اصبح لا يرى بأسا من الطلاق بل يراه ضرورة من ضرورات الحياه فاندمج في معظم قوانين البلاد المتمدنة وكان فى طوقنا ان نوفر على انفسنا مشقة الدفاع عن الاسلام الذي احل الطلاق لولا انه اتاح لنا الفرصة للاشادة بعمل محمد كمصلح اجتماعى كبير وللمقارنة بين ما كانت عليه الحياة العربية في الجاهلية وبين ما صارت اليه بفضل الاسلام

كان الطلاق قبل الرسالة امراً ميسورا جدا عند العرب بحيث كان الرجل يرد الزوجة الى اهلها بكلمة واحده او بمجرد اشارة يؤديها كما كانت الزوج اذا شاءت ان تفصم عروة الزواج بينها وبين زوجها ادارت باب خيمتها الى جهة مضادة للجهة الاصلية وكان هذا كافيا لوقوع الطلاق ولكن القرآن وضع للطلاق قواعد وحدودا ليس من شأنها ان تسمح بمنعه فقط ولكنها تكاد تحرمه تحريما لان الرجل بعد ان ينطق بصيغة الطلاق تظل زوجه مدة محدوده ــ هي مدة العده ــ في معزل عنه ولكن تحت رعايته وليس لها ان تتزوج من غيره

حتى انقضاء العده ويستطيع هو ان يعيدها الى عصمته في خلال هذه المده .هذا اذا لم يكن الطلاق ثلاثا او اذا لم يكن قد وقع ثلاث مرات فانه يصبح نهائيا ومما اشترطه القرآن لطرد الزوجة ان تكون قد اتت بفاحشة مبينة اذ قال «ياايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف ـ سورة الطلاق

هذا وليس للمرأة الحق فى ان تطالب طلاقها من الرجل ولكنها تستطيع فسخ الزواج على يد القاضى وذلك لاسباب معقولة عادلة والغرض الظاهر من هذا التحديد هو الاقلال ما امكن من وقوع الطلاق اذ المفروض في الرجل ان يكون اكمل عقلا واقل تسرعا من المرأة واوسع منها صدر

ومن القواعد التى سنها القرآن انه فى حالة وقوع خلاف بين الزوجين يجب الاحتكام الى محكمين عدول من اهله واهلها لحسم اسباب الخلاف واصلاح ذات البين ومن هذا يتضح ان الاسلام يرى ان الطلاق امر مكروه اذا لم يكن منه بد وقد جاء في سوره البقره (وللذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم)

وجاء في الحديث (ان ابغض الحلال عند الله الطلاق)

وتجنبا لاسباب الفتنة ومنعا لانتشار الزنا والدعارة الزمت المرأة المسلمة بان تضع نقابا يخفي كل جسدها ولا يكشف منه الا مالا يعوق حريتها كالعينين والكفين والقدمين ولم يقصد بهذا الى الحط من كرامتها او عدم الثقة بها اوتقييد ارادتها كلا بل كان ذلك لحمايتها من شهوات الرجال ونزعاتهم وبفضل هذا

الحجاب الذي ضرب على المرأه وعيشة العزلة التي تعيشها طوعا للتقاليد القديمة المتبعة منذ اجيال غلت البلاد الشرقية التى لم يفسدها النفوذ الاجنبي معصومة من الدعاره وما من احد يستطيع المكابره في عظمة هذه الفضيلة التي يجب ان يؤخذ منها عادة الحجاب وعدم اشتراك المرأه في الحياه العامة اللهم الا بقدر معلوم وفي حالات خاصة كانت لها فوائد لا يستهان بها وكان ينبوع خير وبركة للهيئة الاجتماعية الاسلامية .

وان البلاد التي لم ينتشر فيها بين الشعب ذلك التهذيب الذي يكفل للمرأه حريتها وتقوم فيها فوارق وخلافات كبيره حول قواعد الاخلاق والثقافه بين طبقات اهلها المختلفة فان ابتعاد المرأه عن الحياه العامه امر لا بأس منه ولا ضرر رغما من مخالفة ذلك للافكار الحديثة وللمدنية الغربيه وليس معنى هذا انه يجب الاحتفاظ دائما بهذا التضييق وهذه الشده الذين نجدها في الوقت الحاضر في معظم البلاد الشرقية على ان فكره كهذه ستكون بلا شك مخالفة لروح الاسلام الذي طابق حاجات الشعوب فى مختلف العصور وقد جاء في القرآن (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين — سورة الاحزاب) كما جاء ايضاً (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن — سورة النور) . وهذه التعاليم يجب ان تفهم على الوجه الذي فهمه وعمل به النبي الذي ترك نساءه يتمتعن بقسط كبير من الحرية ولا يمكن تفسيرها بغير ذلك الدور الذي لعبته اكثر من واحدة منهن في الحوادث السياسية والحربية في ذلك الوقت سواء في حياة

الرسول او بعده كما فعلت السيدة عائشة في الجملة التي كانت قائمة ضد الامام علي عند ما كانت تحرض المحاربين من هودجها وتستحثهم على القتال في واقعة الجمل وتعرضت من جراء ذلك لاشد الاخطار في الزحام او كما فعلت فاطمة بنت قيس الفهرية في الخلافات التي قامت حول خلافة عثمان او كما فعله كثيرات غيرهن من نساء المسلمين في صدر الاسلام.

واذا كانت المرأة في اوربا قد بلغت شأواً كبيراً في السنين الاخيره من وجهة النظر الاجتماعية فان مركزها قانونا كان الى وقت قريب في كثير من البلاد اقل استقلالا من مركز المرأه المسلمة في العالم الاسلامى فان المرأة المسلمة فضلا عن تمتعها بحق مشاركة اخوتها في الميراث ولو بنسبة اقل وعدم زواجها من احد بغير رضاها وعدم اكراهها على معاشره زوج يسيء معاملتها فان لها الحق في قبض مهر من زوجها وان يقوم الزوج بالانفاق عليها حتى ولو كانت موسره وان تتمتع بكامل استقلالها وحريتها في ادارة ممتلكاتها اذا لم يكن هناك مانع قانوني يمنعها من ذلك

• • •

اما الرق وهو ذلك النظام الذي نشأ كما يقولون مع الحياة الانسانيه والذي استمر في كل الازمان وعند كل الامم الى عهد غير بعيد فان القرآن لم يحرمه وقد اتخذ غير المسلمين من عدم تحريمه سبيلا للزراية على الاسلام والحط من شأنه وفضلا عن ان مركز العبيد عند المسلمين في البدو والحضر كان اكثر تسامحا مما يظنونه في اوربا (كما شهد بذلك السائحون الغربيون الذين اجمعوا على تسامح المسلمين مع الارقاء) وليس من العدل في شيء ان تقارن الرق

الشرقي بذلك الرق الذى كان موجوداً في امريكا ويكفي ان نذكر ذاك الحديث الذى روي عن النبي في هذا الصدد وهو حديث يفيض بالرحمةوروح العطف (لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي)

اما من وجهة النظر التاريخية فان عمل الرسول يتجلى بشكل عجيب فى هذا الموضوع فانه حدد الرق وبينما من الممكن قبل الاسلام استرقاق الرجل الحر من اجل دين عليه فان المسلم اصبح لا يستطيع استرقاق اخيه فى العقيده لاى من الاسباب والى جانب ذلك فقد وضعت قواعد ووجهت وصايا الى المسلمين بقصد وضع حد للرق وتحرير العبيد تحريراً تدريجيا ولاشك ان هذه الوصايا كان من الممكن ان تأتي بالثمرة المرجوة اذا لم يكن الرق متأصلا فى عادات الشعب العربى والامم التى خضعت لسلطانها واذا لم يكن الناس الذين حملتهم القسوة والتجبر على تفسير آيات القرآن الواردة فى هذا الشأن تفسيراً خاطئا يوافق هواهم بقصد ابقاء الرق وقد جاء في القرآن في اكثر من مرةان تحرير العبيد فضلا عن كونه عملا فيه مرضاة لله فانه يعتبر كفارة عن بعض الخطايا كقوله تعالى(ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة- سورة النساء) وقوله(والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير - سورة المجادلة) وقوله (وما ادراك ما العقبة فك رقبة - سورة البلد) واما الحديث الشريف فقد قال (من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل إرب منه اربا منه من النار)

وقد وضع المشترعون الاسلاميون الذين استرشدوا بالقرآن والسنة عدة التزامات وعدة وعدة تسهيلات بقصد تحرير العبيد ولما كنت لا استطيع ان آتي

عليها جميعها هينا فاني اقتصر على ذكر اثنتين منها على سبيل المثال ومنهما يتضح كيف كان الرقيق في الشريعة الاسلامية يستطيع ان يسمو بنفسه الى درجة الرجل الحر اذا كان سيده لا يستطيع او لا يريد ان يتحمل ما يصيبه من الخسارة المالية بسبب تحريره فكان ميسوراً للعبد ان يحصل من سيده على ورقة عتق يشتري بها رقبته في مقابل ثمن يقدمه اليه في وقت معين كما انه كان في استطاعة العبد ان يرجو مولاه في ان يمنحه الحق في اكتساب نقود من عمله وكده يشتري بها رقبته ولم يكن في ذلك من غضاضة على مولاه وفي ذلك يقول القرآن «والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً » سورة النور» والمفهوم هنا من الكتاب هو ورقة العتق وهناك ما هو اكثر من ذلك فقد كانت الدولة الاسلامية تخصص جانبا من دخل بيت المال لمساعدة العبيد الذين يرغبون الحصول على حريتهم

وهذا الاسلام الذي لم يميز جنسا على جنس او لونا على لون من الناس بل اعتبر البيض والسود والبدو والحضر والحكام والمحكومين متساوين في كافة الحقوق ليس نظريا فحسب بل وعمليا ايضا حتى لتراهم في الخيام والبيوت والمساجد والاسواق يختلط بعضهم ببعض دون ان يحتقر احدهم الاخر نقول ان هذا الدين لم يسمح باذلال الارقاء او بمعاملتهم معاملة سيئة بل حض على الرفق بهم والاحسان اليهم واكثر من ذلك جعل عتق العبد كفارة عن الاساءة اليه فقد جاء في الحديث (من ضرب غلاما له حدا لم ياته او لطمه فان كفارته ان يعتقه)

وكيف لا نذكر هنا ونحن نتكلم عن المساواة التي فرضها الاسلام بين

الناس حكاية طريفة عن ذلك الملك الغساني جبلة بن الا . نه لما اسلم حضر في موكب حافل الى مكة بقصد اداء فريضة الحج وبينما . طوف حول الكعبة لطم بدويا على انفه لطمة شديدة لانه اوقع عباءته عن كتفيه ولما علم ان الخليفة عمر ابن الخطاب قد سمح للبدوي بان يقتص لنفسه بان يلطم ذلك الملك كما لطمه لان الاسلام يساوى بينهما لم يخضع جبلة قط لهذا الحكم واتخذ الليل جملا هو وحاشيته وانسحبوا من مكة دون ان يشعر بهم احد ثم توجه الى قيصر الروم واعتنق النصرانية على يديه وبعد سنوات عديدة بقيت ذكرى الاسلام تبلل جفونه بالدموع وهو محوط بانواع الجاه والثراء والاكرام

وهناك امثلة كثيرة لا تقع تحت حصر سجلها التاريخ عن عبيد كانت توكل اليهم اهم مرافق الدولة ووظائفها وبين هؤلاء بلال الذي كان اول مؤذن في الاسلام نظراً لحلاوة صوته وعذوبته وعن المعاتيق الذين شغلوا اهم مناصب الدولة التي ارتقت احيانا الى مركز الوزارة والخلافة

وقبل ان ننتقل الى موضوع آخر لانرى باسا من ان نذكر ان محمداً منع خصي العبيد منعا باتا واما عادة حراسة النساء بواسطة الخصيان فانها لم تستحدث الا في عهد الدولة الاموية

اما فيما يتعلق بقانون العقوبات فمن المعلوم ان القرآن لم يبتدع طريقة جديدة فيه وذلك اما لان تعديلات كبيرة فى هذا الميدان لم تكن مما يمكن تحقيقه في ايام محمد واما لانه كان يرى ان يترك للشعوب الحق فى سن القوانين التي تلائم طباعهم وازمنتهم وانما قد اكتفى بادخال بعض التحسينات الخاصة على القوانين التي كان معمولا بها ولا سيما بعد ان عفا بقدر الامكان تلك النتائج المشؤومة التي كانت وليدة حب الاخذ بالثار

وان الشريعة الاسلامية لتتفق مع قوانين المدنيـه والتقدم فى ذلك المبدأ القائل بانه يجب البحث عن المذنب ومعاقبته على جريمته لكي يلقى جزاء ما اجترحت يداه . ولكنه فى بعض حالات خاصةوضع قواعد ثابتةومعينة واصلح بعض العقوبات التى كانت موجوده فى قوانين الشعوب السابقة مثل القصاص والبتر والرجم بالحجـاره ويقـول القرآن (ولكم في القصـاص حياة يا أولي الالباب — سوره البقره)

وفى الواقعفان الخوف من توقيع عقوبة على المجرم تكون اشد من جريمته مما يمسك بيد الرجل الذي يهم بارتكاباية جريمة واننا اذا نظرنا الىالاحكام الصارمه التي وضعها القرآن عقوبة لجرائم القتل والاعتداء على الانفس والفسق والنميمة والسرقة والسكر وقطع الطرق اظهرت لنا حكمتها العظيمة واثرهافى منع الجرائم واذا ما قارنا بالآية القرآنية التي تحض على العفو والرحمة ابتغـاء مرضاة الله وعلى الاعتدال فى طلب الديةوالتعويضاتوالتي توصي بعدمتعذيب المجرم والمبالغة في اذلاله لظهر لنا ندورة تطبيق الاحكام الصارمة التي وردت فى القرآن

وقد فرض على المؤمن ان يبذل جهده في تلافي عقابالمجرم ـ لان اللهوطد علائقه مع الانسان على قاعدة الرحمة والشفقة والتسامح ، اي ان هنالك طائفة من الاحكام والحدود تجعل عقاب المجرم ، وفقاً لما جاء به القرآنصعبةالتنفيذ .



الفصل السادس

قيمة التصوف فى الاسلام

كان المسلمون في العصور الاسلامية الاولى معتدلين فى اداء واجباتهم الدينية لأنهم كانوا اذ ذاك في شغل عن الانهماك والغلو فى التعبد بالسعي على معاشهم والاشتغال بامور دنياهم ولكن حدث اخيراً أن دخل عنصر التصوف على دين الاسلام كما حدث في الديانات الاخرى وذلك اما لتطور طبيعي داخلى واما لعوامل خارجية طارئة

لا شك في ان نية التقرب من الخالق والاتصال به هي الغرض الجوهري لكل عبادة حقة وان الرغبة فى اجتلاء الانوار الربانية هي بغية كل مؤمن وما التعبد الاسلامي الذي يسمونه التصوف الا وليد حاجة النفس المؤمنة وقد وجد عنصره الاول في صميم الشعور بالاتصال بالله الذي كان يتكلم عنه النبي كثيراً مع اصحابه كما وجد الارض الصالحة لنموه وتطوره في انتشار النظريات الافلاطونية الجديدة

ولكننا نلاحظ جيداً ان الفكرة القائلة بان آيات القرآن تشتمل على معنى باطني عميق الي جانب معناها الظاهري لم تتولد من الرغبة في التخلص من شدة النصوص ومن العبادات ولكنها نشأت من الاقتناع بان عبارات القرآن تنطوي على معان اوسع مما فسرت به واعمق مما يفهمه العامة.

ولا يوجد فى فكرة النور الباطني اي اساس للاعتقاد بان النبي او وارثي تعاليمه قد نصحوا يوما ما بترك الحياة الدنيوية والاشتغال عنها بالعبادة.وقد بينا فيما تقدم كيف نهى النبي عن الزهد والتقشف والانقطاع للتعبد ومع ذلك فان كثيرين من المسلمين في العصور السالفة قد نسوا ان الحياة الدنيا يجب ان تكون دار عمل ومجهود متواصلين واعتزلوا العالم وعكفوا على العبادة وذلك اما لرغبتهم فى الوصول الى الكمال الروحي واما لمقاومة الاباحية الوثنية التى سادت في عصر بني امية واما لنفورهم من الحوادث السياسية التي تخالف مشاعرهم الصالحة واما لاسباب اخرى غير هذه وتلك.

وكما ان الخطوة بين الورع والاعتكاف عن الناس قصيرة المدى فقد كان التطور من الاعتكاف الى التصوف، امرا طبيعيا ولما كان مقام الاتحاد القدسي والشوق الى معرفة الله بالاتصال والمشاهدة امرين لا يتوفران وسط مشاغل الحياة الدنيوية وملاهيها فقد حدث بالضرورة ان انتقلت الى الاسلام نظرية السمو الروحي والاتصال الالهي المعروفة فى الديانات الاخرى وقامت هذه النظرية الصوفية على اساس تضحية المرء تضحية كاملة لامور الحياة الدنيوية والاقبال المطلق على الحياة النظرية فاذا ما تسنى للرجل ان يجمع حواسه ومشاعره وينفي عن نفسه قشور المادة وجب عليه ان يبذل جهده في ان يدع جمال الله يتسلط عليه واذا ما سما بروحه نحو الخالق تجرد من مظاهر الحياة المادية حتى يصل الى استغراق شخصه فى الملأ الاعلى وذات الله الذي هو الحق بنفسه .

وما اشهى هذا الغرض الذي لا يتردد عن اجتذاب الارواح المتعطشة الى الروحانية ذلك الغرض الذي كان يفيض خيراً وبركة على المسلمين لانه لما كان قد أدخل فى روعهم امكان الاتصال بالله بعد رياضة النفس حينا من الزمن على

ذلك النمط من العبادة فقد قوى فيهم الاحساس بالكرامة الروحية وبدلا من الطاعة الاوامر الالهية طاعة عمياء هداهم الى تهذيب النفس من طريق التنسك وبذلك خلصت النفوس من شوائب المادة

ومما يؤسف له ان التصوف المتطرف الخارج عن كل نظام سرعان ما اتخذ في كثير من المسلمين أشكالا مخالفة لقواعد الاسلام الاساسية التي اوصى النبي باتباعها وما اسرع ما اندمجت فيها آراء القائلين بالحلول وغيرها من العبادات الغريبة والقواعد الاخلاقية الفاسدة التي كان الاسلام من جرائها مهددا باشد الاخطار ولكنه كان من جهة اخرى مهدداً بخطر آخر لا ندري اذا كان اقل او اشنع من خطر تلك الطرق الصوفية الفاسدة فان الفقه الذي كان قد اجدب من جراء المناقشات العقيمة في مسائل دقيقة لا يفهمها عامة الشعب الا بحسب نتائجها ومقدار اثرها في معترك الحياة، هذا الفقه قد انتهى به الامر الى ان فقد مرونته وصار مجموعة من نصوص جامدة لم يعد في استطاعتها ارضاء آمال النفس البشرية وفضلا عن ذلك فان اغلبيه فقهاء المسلمين بدلا من اهتمامهم بالمسائل الفقهية قد انكبوا على دراسة الشريعة الالهية التي جهروا بقدسيتها وتطبيقها العملي في مختلف الحالات ولما كانت تعوزهم الفكرة الصحيحة عن هذه الشريعة فقد أخذوا يتخبطون فى مناقشات عقيمة هزيلة حول مسائل دقيقة قليلة الخطر لأن الرغبة في ارغام الناس على مراعاة نصوص الدين ومحو البدع والقضاء على الالحاد كل اؤلئك كان ابدا هو الشغل الشاغل لكافة المذاهب الدينية .

وكان من حسن حظ الاسلام ان ظهرت في هذه الفترة العصيبة من ايام حياته عبقرية رجل مجدد هو الامام الغزالي الذي اخذ في تقويم ما تزعزع من

اركان هذا الدين والنهوض به من كبوته ونفخ فيه من روحه قوة حيوية صحيحة والبسه ثوبا قشيبا من البهجة والجلال ودعا الناس الى حياة صوفية جديدة تقوم على اساس مراعاة القواعد الاسلامية الصحيحة مترسما في ذلك خطوات السلف الصالح من اصحاب الرسول فكان يقول ان قواعد الاسلام الوضعية كان يجب ان تكون اساس التقدم لحياة الدينية عند الصوفيين وان تكون معرفة الشرع أساس التمسك الصوفي والباب الذي يمكن الوصول منه الى اجتلاء الانوار الالهية وقد اصبحت آراء الغزالي التي قبلها المسلمون بالاجماع حجر الزاوية الذي وضع الاسلام عليه بناءه النهائي لآرائه ومظاهره الدينية وتخلص من جمود رجال اللاهوت والفقهاء وبرىء من الفساد الذي اوقعه فيه تطرف المتصوفين وتهورهم ومن ثم عاد هذا الدين الى ما كان عليه من سعة الصدر والصفاء والبهاء واستعاد حرية الفكر والاحساس واصبحت العبادة تدور حول محور واحد هو محبة الله وكان له بذلك أجل الأثر في حياة المسلمين .

عندئذ لجأ عنصر الفلسفة الصوفية المشاغب الى الزوايا وكانت تضم جماعة المتآخين من الصوفيين وقد انتشرت هذه الامكنة في جميع انحاء العالم الاسلامي واطلق عليها اسم (الرباط والخانقاه) ايضاً.

وفي بادىء الامر كان اذا نزل الى مكان من هذه الاماكن زاهد من الزهاد يطلق عليه لقب ولي اوبار او سيدي بحسب عرف البلاد المختلفة وكان هذا الزاهد يدعي انه قد تجلت له الذات الالهية وحظي منها بالزلفى والمشاهدة وسرعان ما كان يجتمع عليه الاتباع والمريدون وبذلك تأسست الطرق وانتشرت التعاليم الصوفية ولم يتيسر لغير القليلين من الناس ان يحظوا بلقب الولاية والى جانب المخلصين والامناء الذين أفادوا الناس بارشاداتهم

وتعاليمهم القويمة كان هناك مخادعون ادعياء يتجرون بعقول العامة والجهال والحمقى فافسدوا عقائدهم وأنهكوا قواهم الفكرية بالعبادات الصوفية الفاسدة وتكاليفها المضنية .

وكيف لا نقرر هذه الحقيقة وقد ترتب عليها ضرر كبير للحياة الاجتماعية فان اعتكاف الصوفيين كان من نتائجه ان حمل الناس على الوثوق بالله وقدرته ثقة فاقت كل حد معقول وعلى التوكل عليه توكلا أقعدهم عن طلب الرزق والسعي على حاجاتهم المعيشية ولا ريب في ان الصوفية ينسب اليها جانب كبير من مسؤولية انحطاط الامم الاسلامية وتأخرها فى الوقت الحاضر

ولكن من جهة اخرى كيف ننكر الخير الجزيل الذي استفاده الاسلام من عمل هذه الجمعيات والملاجيء الدينية التي ظلت معمورة في جميع انحاء العالم الاسلامي حتى في اطرافه البعيدة وفى الواحات المنعزلة في اواسط الصحراء

ونحن من اجل ذلك لا نريد ان يحكم غير المسلمين على الدين الاسلامى بما يبدو لهم من مظاهر بعض العبادات الصوفية التي يستنكرها المثقفون والمفكرون من المسلمين وهاك ما يقوله احدهم الاستاذ محمد فريد وجدي في هذا الصدد في كتابه المدنية والاسلام .

(نقول بتمام الحرية ان الاوروبيين معذورون فى تصديق التهم ضد الاسلام والمسلمين ولهم الحق في العمل ضدها ما داموا لا يرون أمام اعينهم من مظاهر الدين الا البدع التي اخترعها صغار العقول وقبلها منهم العامة وزادوا عليها اشكالا من الاوهام والاضاليل التى تنفر منها الطباع البشرية وتنافي اصول المدنية بحيث نرجو ان يفهم الاوروبيون حقيقة ديننا وانه الملاك الوحيد للعبادات كلها خالة كونهم لا يعرفون من دين الاسلام الا ما يرونه أمام أعينهم

كل يوم مثل الصياح في الطرقات تحت الطبول وتحت الرايات ومثل اقتراف أشد المنكرات المنافية للادب والعقل في الموالد التي تقام في كثير من جهات القطر المصري ومثل الاجتماع الى حلقات كبيرة على مرأى ومسمع من ألوف المتفرجين والصياح الشديد بالذكر مع التمايل يميناً ويساراً الى غير ذلك مما لو أردنا ذكره لطال بنا الكلام وخرجنا عن المقام ، هذه الاسباب كلها صار الشرقي المتنور ملقياً على عاتقه واجبين أولهما تفهيم العالم أجمع أن الدين الاسلامي فضلا عن كونه بريئاً من الاضاليل التي ينسبها اليه بعض الكتاب ومنزها عما يفعله العامة على مرأى من المتفرجين فانه ناموس السعادة الحقيقية وملاك المدنية الصادقة حتى ينبعث الى احترامه ومحبته كما يحترمه ويحبه بعض الفلاسفة الكبار الذين درسوه واعتقدوه ثانيهما ان يسعى عقلاء هذه الامة في محو البدع التى غص بها العالم الاسلامي وصارت نقطة سوداء في جبين الشرق وموضع استهزاء كل من عنده مسكة من العقل .



الفصل السابع

الاسلام في علاقاته مع العلم

يقول الامام محمد عبده ان اساس الاسلام هو الاقتناع العقلي اذ انه لم يأت بشيء يعلو على الفهم او بما يستحيل عند العقل ولم يلجأ الى الادهاش بالمعجزات وخوارق العادات او الالهاء بالخيالات لحمل الناس على تصديقه والايمان به. كلا، ولكن الى السير الطبيعي للفكر الانساني. وهذا هو القرآن الذي جمع بين دفتيه الكلام والعلم وكلاهما مقبول بالعقل ، قد نهج بهذا الدين منهجا يمكن لاهل الزمن الذي انزل فيه ولمن يأتي بعدهم ان يقوموا عليه فلم يقصر الاستدلال على نبوة محمد بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة بل جعل الدليل في حال النبي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ولو في مثل اقصر صورة منه (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بصورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين - سورة البقره) وقد خاطب العقل واستنهض الفكر وعرض نظام الاكوان وما فيها من الاحكام والاتقان على انظار العقول وطالبها بالامعان فيها لتصل بذلك الى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا اليه

وان الاهمية التي يعطيها الاسلام العقل هي في نظر معظم المسلمين بحيث انه اذا جاء ما يوهم ظاهره انه غير متمش مع العقل وجب الاعتقاد بان الظاهر هو غير المراد وعلى ذلك وجب تركه نزولا على حكم العقل والمرء الخيار بعد

ذلك في التأويل والاعتراف بان الحديث بحالته غير قابل للفهم او الاجتهاد في تأويله تأويلا من شأنه ان يجعله يتمشى مع العقل واما ان يقبله المسلم كما هو في هذه الاستحالة فالاسلام بريء من ذلك كل البراءة .

هذا الايمان الذي اساسه الاقتناع الفكري والذي يفرض على الرجل ان يستعمل مواهبه الفطرية واخصها الفكر في تفهم اصول الدين كيف يستطيع ان يكون هذا الايمان عائقاً للعلم والفلسفة .

رب قائل يقول ان المدنية الحاضرة امكنها ان ترتقي بسهولة في اوروبا اما لان المسيحية فصلت السلطة المدنية عن السلطة الدينية واما لان الدول الغربية الحاضره قد تخلصت من السيطرة التي كانت تدعيها الكنائس لنفسها بينما لم تظهر في البلاد الشرقية حركة مثل هذه ولم تتحقق لان السلطة المدنية مرتبطة قانونا بالسلطة الدينية وجوابنا على ذلك ان الاسلام في الواقع ونفس الامر هو دين وقانون وفضلا عن انه هدى الناس الى معرفة خالقهم فانه قد رسم حدوداً لحرية الفرد كما وضع حقوقا وواجبات كان من الضروري لمراعاتها وجود سلطة تقوم على تنفيذها ولكن الخليفه عندالمسلمين ليس بالرئيس الديني فلا هو ممن لا يخطئون ولا هو يدعي لنفسه العصمة والاتصال بالله كما انه لا يدعي لنفسه الحق في الاستئثار لتفسير القرآن والحديث وانما يجب ان يكون في حالة تسمح له لفهم النصوص الدينية بحيث يستطيع التمييز بين الحق والباطل ليتمكن من القيام على العدالة وهو مع ذلك مثله كمثل سائر المسلمين له ما لهم من الحق في الاجتهاد وفي تفسير النصوص الدينية وتجب طاعته على المسلمين ما دام متبعا الطريق السوي لانه اذا حاد عنه لرعاياه الحق في لفته الى الصواب وفي انذاره واذا اصر

على عدم الاصغاء الى نصائحهم كان لهم الحق في خلعه واقامة غيره في مكانه ويقول حديث صحيح (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وانما الطاعة في المعروف) فالخليفة والحالة هذه ان هو الا قاض مدني وليس وكيلا لله في الارض يستمد منه السلطة والنفوذ ولا يكل ايمان الناس الا بطاعته .

ليس في الاسلام الا سلطة دينية واحدة اذا اردنا ان نطلق عليها هذا الاسم وهي تشتمل على الموهبة التي منحها للمسلمين كافة حقيرهم ونبيلهم غنيهم وفقيرهم في ان يعظوا اخوانهم في الدين باتباع الخير واجتناب الشر اما القاضي والمفتي وشيخ الاسلام نفسه فليست في يدهم الا سلطة مدنية لانه ليس منهم من يستطيع ان يتحكم في ايمان اخ له في الدين

ولكن هل منع الاسلام تقدم الثقافة والعلوم في الاجيال السالفة عندما كانت مدارس العرب وقصور امرائهم ينبعث منها النور الى اوروبا التي كانت غارقة في ظلمات القرون الوسطى وعندما كان فكر فلاسفة العرب قد بلغ اقصى علاه حتى صار مناراً تهتدي به عقول الغربيين وعندما كان هارون الرشيد يأمر بتشييد مدرسة الى جانب كل مدرسة لتعليم العلوم المختلفة او عندما كانت المكاتب الغنية بالآف الكتب المؤلفة تفتح ابوابها للباحثين في كل صقع من اصقاع العالم الاسلامي

الم يمارس العرب الطريقة التجريبية قبل ان يعلن عنها العلامة باكون؟

الم يكن للعرب الفضل الاول في تقدم علم الكيمياء والفلك وفي نشر العلوم اليونانية ومتابعة الابحاث الطبية وفي اكتشاف الكثير من القوانين الطبيعية

وهل بعد هذا كله يمكن ان يقال ان الدين الاسلامي من طبيعته اعاقة تقدم العلوم والثقافة ؟

لعله من الممكن القول بان السياسة قد اضطرت احيانا بقصد بث السلام في بعض البلاد الى اتحاد تيارات فكرية كان يتوقع منها الاضرار بالنظام العام وبان الصراع السياسي والشخصي كان قبل الصراع الديني سببا فيما مضى في اعدام بعض رجال اللاهوت والفقهاء والمحدثين والفلاسفة ويمكن ايضاً الاعتراف بأنه في بعض الجهات الاسلامية تقوم في الوقت الحاضر عداوة شديدة للعلوم الفكريه والصناعات الحديثة

ويمكن القول ايضا بان معظم الافغان والفرس والهنود لا يزالون مرتبطين كل الارتباط بتقاليدهم القديمة وبان المغاربة غارقون في تعصبهم الشديد ونعترف ايضا بان الفقهاء لا يزالون مرتبطين بنصوص الكتاب الحرفية فيمتنعون عن ابداء اي فكر في اية حالة جديدة لم يرد عنها نص في الكتاب والسنة اويحاولون ردها الى رأي العلماء السالفين ولكن لا يجب ان نتهم طبيعة الاسلام بالفتور والخمول اللذين يجب ان ينسب عيبها الى حالات تاريخية خاصة وفي الوقت الحاضر الى عقول ضيقة لبعض جماعات من المسلمين

واما الدين الاسلامى فانه بعد ان كان عربياً وبعد ان عرب العلم اليونانى سقط بكل اسف في أيدي الاتراك والتتار والمغول الذين نزلوا بيلاده لكي يكسبوا قوتهم كمحاربين مأجورين وسرعان ما استولوا على السلطة فيها واعتنقوا دين مقهوريهم ولبسوه كما يلبس المعطف دون ان يفهموا سره او يدركوا روحه الحقيقية ولم تكن قلوبهم متهيئة لقبوله كما يجب وقد حاول هؤلاء الاعاجم البرابرة ان يخدروا اعصاب رعاياهم بان اطفأوا فيهم حب العلم لكي يتم لهم التسلط عليهم عليهم ولكي ينفردوا وحدهم بالتصرف في كافة شئون الامة الاسلامية واستغلوا فكرة وجوب النزول على حكم ما قدر من الازل كطريقة لشل افكارهم

وارادتهم ولنشر الفكرة القائلة بان الاجيال القادمة لن تأتي بمثل ما اتى به السلف الصالح وعلى ذلك يجب على المسلمين ان يترسموا خطوات السلف ويتبعوهم بدون بحث وكيف يمكن ان يكون ذلك اذا كان القرآن قد نعى على اتباع الديانات الاخرى اقتفاءهم آثار آبائهم اذ جاء في سورة البقره(واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)

ولما لم يكونوا في درجة تؤهلهم الفصل في هذه المسائل الدقيقة فأنهم لم يبق لهم الا ان يكتفوا بفهم آراء السلف واتباعها فكانوا هم بالاختصار السبب في تشويه شكل الدين الذي اعتنقوه واتبعوه في مظاهره الخارجية فقط دون ان يفهموا روحه الحقيقية او يحاولوا فهمها ومن هنا نشأ ذلك الجمود الذي نسب الى الاسلام والذي كانت له اسوأ النتائج ليس فقط في الميدان الديني بل وفي التشريع والحديث والاداب وفي كافة مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة .

وليس هنا مكان اثبات ذلك بالوقائع ولكن كان من حسن الحظ ان كان ذلك الجمود مرضا مقدرا له الزوال بل هو فعلا في طريق الشفاء وسيعود المسلمون مرة ثانية الى الارتواء من منهلهم العذب الصافي وهو القرآن الذي لم تمسسه يد عدو ولا حبيب ولا عاقل ولا جاهل ولكنه بقي بغير تغيير ولا تبديل في خلال العصور الماضية كما اوحى الله به الى رسوله النبي الامى خاتم الانبياء والمرسلين .



فهرست الكتاب



اصلاح الغلط

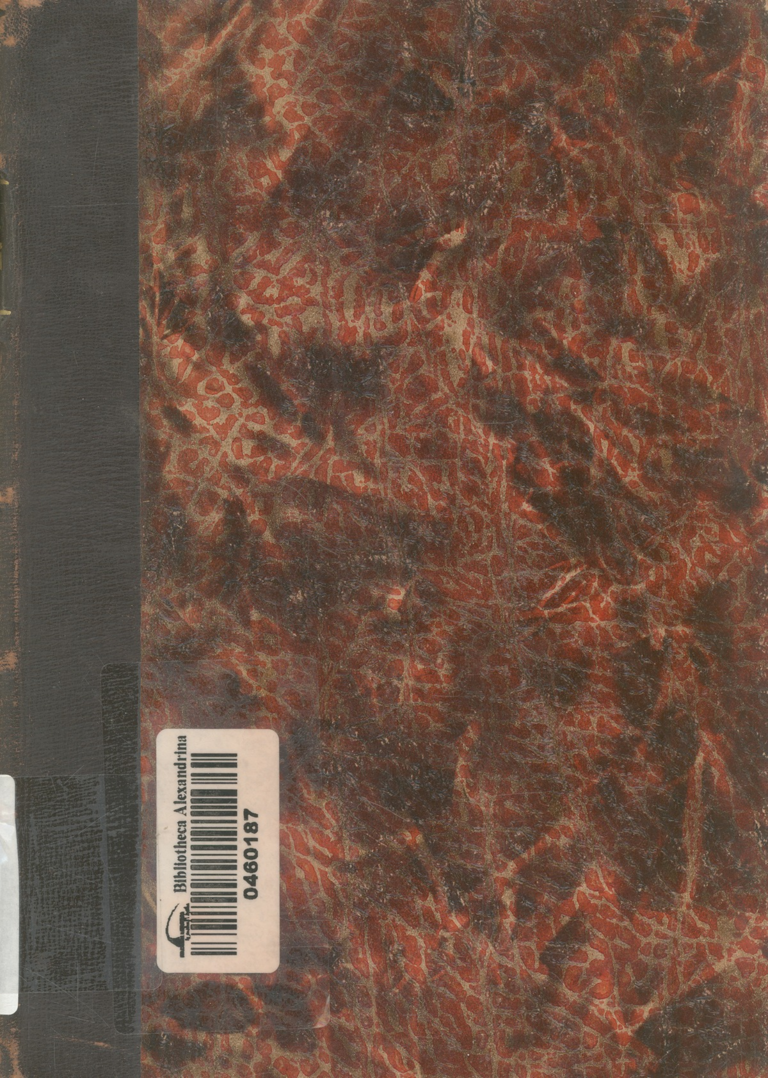
صفحة	سطر	خطاء	صوابه
٣	١٠	المخ ص	المخلص
٣	١١	الينا	الى الغربيين
٣	١٣	ية ؤها	يقرؤها
٣	١٤	الاو	الاوربي
٤	٦	*Noldeke*	*Noeldeke*
٤	٧	كاتياني *Caitani*	كايتاني *Caetani*
٤	٨	قد وصلوا .... من غير المسلمين	قد وصلوا الى التسليم بصدق محمد وخلوص نيته والى الاعتراف بنزول نوع من الوحي عليه وان يكن ببعض غموض ، وانما اختلفوا في تفسير خفاياه عند ما تعرضوا للبحث في الموضوع وذهبوا فى ذلك شتى التأويلات لا يمكن حتى للعالم المنتقد غير المسلم الاخذ بها والاعتماد عليها دائما وفى كل حالة من الاحوال
٤	١٥	او	و
٥	٦	وبعد ان استن .... للحوادث	وقد حرروا ايضا الوحي المشار اليه مما استنه محمد من السنن واشترعه من القوانين بصفته منشئا لدولة جديدة ، ومن نتائج تلك الاعمال التي دفعته اليها اميال النفس أو أكرهته عليها حوادث الدهر
٥	١٤	*Caitani*	*Caetani*
٥	١٩	ونحت	وتحت
٦	١٠	باثره	باسره
٦	١٨	*Caitani*	*Caetani*
٧	٩	وان محمداً . . . وحيه	وان النبي رجل يخلط فى مخيلته بين الصوت الالهى والبشري لا بل انه يستغل هذا التشوش لمآربه الذاتية فى قليل او كثير من حسن النية تبعاً للزمن الذي فيه يعلن وحيه فى مكة او فى المدينة

صفحة	سطر	خطاء	صوابه
٨	٨	لم أستطع .... على كتابات كبار المؤلفين	لم استق من ابحاث المستشرقين الا النزر اليسير ومع التحفظ الكلي (معتمدة بنوع خاص على ابحاث جولدزيهر) *Goldziher* القيمة بيد اني اعتمدت على كتابات كبار المؤلفين
٩	٣	ابن	بن
٩	١٣	كما وضح	—
٩	٢٠	اولا	او لا
٩	٢١	الاتباعية	المتبعة
١٠	٤	؟	—
١٢	١١	بعد	بعد
١٣	١٠	مستقبله	مستقبلة
١٣	١٥	وبدي،	وبدىء
١٣	١٦	جعلوا	حملوا
١٤	١٦	ابو	ابي
١٤	١٦	سنة ١٣ ﻫ	—
١٤	١٦	سنة ٢٢ ﻫ	—
١٤	١٧	سنة ٣٥ ﻫ	—
١٥	١٥	الى الان	على الدوام
١٦	٨	لمدمرة	المدمرة
١٩	٣	ممتلىء	ممتلىء
١٩	٩	كالك	كذلك
٢٠	١٧	يازمون	يلزمون
٢١	١	كباقي	كباقي
٢٣	١٦	حيا ؟؟؟	حياتها ؟
٢٥	٨	يبغيان	يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان
٢٦	١٣	الاله	الآله
٢٦	٣	الاله	الآله
٢٦	١٧	تاريخياً خاصاً	من مصدر اختصاصي لا غير
٢٩	١	الن‌ر	النزر
٢٩	٧	طرائقة	طرائقه
٣١	٩	بفي	يفي
٣٢	١٧	الشعر يدل	الشعر لا يدل
٣٣	٨	كنها	كنهها
٣٩	٦	نوال	نيل
٣٩	١٨	الشعاءر	الشعائر
٤٠	٣	نحرز	نحرر
٤٠	٤	هذة	هذه

صفحه	سطر	خطأ	صوابه
٤٠	٦	يعبادات	بعبادات
٤١	٥	وقالو ن	وقالوا أن
٤١	١٥	...؟	؟ ... انتهى
٤٣	٥	اشاد	شاد
٤٣	٣١	ذكريات	ذكر
٤٤	٤	اكثر من مرة	غير مرة
»	٨	نخيرا	نخير
»	١٣	تتلظى	تتلظى النار
»	١٤	يستجيبو	يستجيبوا
»	١٨	مخلدبن	مخلدين
»	٣١	ونميما	ونعيمها
٤٥	٧	بهانها	بهائها
»	٧	وتعز إزاً	وتعززاً
»	٢٠	سبأ	الاعراف
٤٦	٢	بغيه	بغية
»	١١	ان	انا
»	٢٠	القاريء	القارىء
٤٨	١	مباديء	مبادىء
٤٨	٥	وبين	و
٤٨	١٣	(	)
٤٨	١٤	)—(	...
»	١٥	مباديء	مبادىء
٤٩	٦	عبد الله ابن عمرو	عبدالله بن عمرو بن العاص
٤٩	٧	آخرين	آخرون
٥١	٤	اولا	او لا
٥١	٧	لتقدم	التقدم
»	٩	ماله	ما له
٥٢	١٢	علي	على
»	١٤	ان واجبة	ان تكون واجبة
»	١٦	كما	وكما انه
»	١٨	ونرى	(ونرى
»	١٩	(على	على
»	٢٠	وسيكون هو	فانه سيكون
٥٣	٦	الحاصة	الخاصة
»	١٧	فترات	فترات
٥٦	١٤	يؤديها	يؤديها
٥٧	١١	صدر	صدرا

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٥٧	١٩	مالا	ما لا
٥٧	٢٠	بهدا الى الخط	بهذا الخط
٥٨	٥	و	،
,,	٨	الثقافه	الثقافة
,,	١١	الذين	اللذين
,,	١٢	ان فكره	ان فكرة
,,	١٤	ياايها	ياايها
,,	١٥	ابضا	ايضا
,,	١٦	المؤمتات	المؤمنات
,,	١٨	الدي	الذي
,,	,,	نساءه	نساءه
,,	١٩	كرير	كبير
,,	,,	بغير	بغير
,,	١	الجلة	الحلة
٥٩	,,	على	علي
,,	١١	بالاتفاق	بالاتفاق
٦٠	٤	رجهة	وجهة
,,	٥	وبينما	وبينما كان
,,	٦	لاى	لاي
,,	٩	الشب	الشعب
,,	١٢	آكثرمن مرة	غير مرة
,,	١٥	يتحرير	فتحرير
,,	١٧	القلد	البلد
,,	٢١	وعدةوعدة	وعدة
,,	,,	آتى	آتي
,,	٣	بريد	يريد
٦١	٥	رقتته	رقيته
,,	,,	متاقل	مقابل
,,	١٠-١١	يرغبون الحصول	يرغبون في الحصول
٦٢	٢	حامل	حافل
,,	٤	ابن	بن
,,	٦	حملا	جملا
,,	,,	وحاشيتة	وحاشيته
,,	٢١	المشئومة	المشؤومة
٦٣	٤	بعص	بعض
,,	٥	اوّل	أولي
,,	١٧	من الاحكام... التنفيذ	من الأحكام والحدود جاءذكرها في القرآن تجعل عقاب المجرم صعبة

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٦٤	١٥	الي	الى
٦٦	١٠	الفقه	علم اللاهوت
,,	١١	هذا الفقه	علم اللاهوت هذا
,,	١٣	البشرية	البشرية لان الرغبة في ارغام الناس على مراعاة نصوص الدين ومحو البدع والقضاء على الالحاد كل ذلك كان ابداً هو الشغل الشاغل لكافة المذاهب الدينية
,,	,,	فقهاء	ائمة
,,	١٤	الفقهيه	اللاهوتية
,,	١٧	مسائل دقيقة قليلة الخطر لان الرغبة .. الدينية	حوادث فردية قليلة الخطر
٦٧	١٧	اوبار	او بار
٦٨	٥	الناس	الناس على
,,	٦	توكلا	توكلا اعمى
,,	٧	على	الى
,,	١٩	التي تنفر	تنفر
,,	٢٠	بحيث	كيف
,,	٢١	للعبادات	للاسعادات
٦٩	٢	جبات	نقط
,,	٥	،	...
,,	٩	يشعث	ينبعثوا
,,	١٠	واعتقدوه	واعتقدوه ...
,,	١١	جبيم	جبين
,,	,,	موضع	موضوع
٧٠	١٢	فأتوا بصو	فآتوا بسورة
٧٢	١	نصائحم	نصائحهم
,,	٤	بطاعتة	بطاعته
,,	٨	الاسلطة	الا سلطة
,,	١٥	بالاف	بآلاف
,,	٢٠	شئون	شؤون
٧٤	٤	الفنيا	الفنينا
,,	,,	آباءنا اولا	اباءنا اولا


Bibliotheca Alexandrina
04601870